شرق كارديف

قمر الكاريبي

القرد كثيف الشعر

مسرحية

شرق كارديف

قمر الكاريبي

القرد كثيف الشعر

يوجين أونيل

الكاتب الأمريكي الحائز على جائزة نوبل للآداب

ترجمة: د. شاكر الحاج مخلف

مسرحية: شرق كارديف ـ قمر الكاريبي ـ القرد كثيف الشعر

تأليف: يوجن أونيل

ترجمة: د. شاكر الحاج مخلف

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني وتصميم الغلاف: فيصل حفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

E

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار و مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

شرق كارديف

مسرحية شرق كارديف كما يرى أونيل في مقابلاته الصحفية الموثقة أنها تنتمي إلى المسرح التقليدي، حيث الميلودراما فيها تمثل العنصر الأساسي الذي أستند عليه الكاتب في رسم شخصياته المهمة فيها مثل " سميتي وكوكي " وبقية الشخصيات الأخرى وهم يلعبون الأدوار الرئيسية في المسرحيات الأربع تقريباً تلك التي تدور على ظهر السفينة " جلينكرن " تلك المسرحيات الأربعة تُكون سلسلة مترابطة فهي تعرض موضوعاً متصلاً ونهايات مختلفة والبطل في المسرحيات الأربعة هو البحر ذلك الكائن المخيف، وتلك المسرحيات التي وضعت في مواجهة ذلك الجوّ الأبدي الحزين.

يرى الناقد "جون فون زيلسكي" أن المأساة بدأت في أمريكا مع ظهور أونيل حيث شهدت بواكير القرن العشرين تطور الدراما المأساوية أو الانتقال إليها والذي دفعت إليه وجهات نظر شخصية متغيرة تغيراً له دلالته عند الكتاب المسرحيين. الكاتب أونيل يرى من جانبه أن مسرحياته تنطلق محملة بمشاعره للبحث عن القوى الغامضة الكامنة وراء الحياة، فهو يقول: "إنني أتقصى في مسرحياتي ولو قدراً قليلاً من تأثيرها ونفوذها". بينما يعتقد الناقد " أريك بنتلي" أن أونيل قد أحيا المأساة وأفلح كثيراً في تحقيق الميلودراما". كما يعترف " أونيل " بأنه حقق في مسرحيته الأولى "بدر على الكاريبي" قدراً ملحوظاً من التحرر الحقيقي من تلك التقاليد التي كبلت المسرح زمناً طويلاً ويصف تلك المحاولة بالخطوة الأصيلة التي أعقبتها محاولات أكثر نضجاً، ويرى الكاتب الفرنسي " آرثر أداموف " أن أونيل كتب مسرحية " HUGHIE " التي قدمت في أستوكهولم في ١٨ من سبتمبر عام ١٩٥٨ وأنها من أفضل ما كتب للمسرح في القرن العشرين مع أنها تثير القتامة المبررة والمقبولة.

أنتج أونيل ومعظم كتاب المأساة الآخرين من خلال تشاؤميتهم مسرحيات إما تدعو إلى ذاتية استثنائية وقاتمة وهروبية تجاه الحياة أو تعرضها عرضاً محايداً، ومهما كان ضغط بيئة الإنسان فإن القوة الحقيقية الوحيدة لمواجهة الحياة الراهنة يجب أن تصدر من داخل الفرد الذي تخلص من مجرى الحياة الاعتيادي والذي وجد نفسه بحكم ذلك في وحدانية مطلقة وفي طريق مسدود. كتب أونيل: "من ذا يريد أن يرى الحياة على حقيقتها إذا استطاع أن يحول دون ذلك ". ويرى أونيل أن

هناك جمالاً حتى في حياة القبح ومهمة الفنان أن يكشف الجمال الذي يكمن في كل شيء.

حقق أونيل شهرة واسعة بكتابته المسرحية القصيرة ذات الفصل الواحد وكانت تلك المسرحيات قد وجدت مسرحها على سطح البحر ذلك العالم المرعب والمجهول الذي يشكل رمزا كبيرا للحياة، ومسرحية " شرق كارديف " مثال واضح على الصياغة الفنية المحكمة في مجال بناء المسرحية ذات الفصل الواحد، تلك الصياغة التي تقترب من صياغة القصة القصيرة من حيث الارتكاز على الحدث الواحد والذي يقوم على التمهيد المركز الذي يفضي إلى الموقف الدرامي مباشرة وعلى تعويض القصور عن الامتداد الزمني بالتعمق عن طريق الارتداد نحو الماضي واستعمال بارع لعنصر الزمن في استخدام البحر تلك القوة المرعبة.

يعتقد بعض النقاد أن أونيل حاول تقليد الكاتب " سينج " في مسرحيته الناجحة " الراكبون إلى البحر " وهذا الاعتقاد غير صحيح لأن أونيل في مسرحياته التي أختار لها البحر مسرحاً أرسى قواعد جديدة فتلك المسرحيات امتازت بالجوّ العام الدرامي المطلوب وأبسط الإمكانيات والمؤثرات وتلك المسرحيات شكلت مقطوعات درامية فيها من التجديد والفعل الدرامي والقصة المحبوكة وكانت شخصياتها تعبر بقوة وضعف في آن واحد عن خلجات الصدور وخيبة الآمال وتحاول الإمساك بتلك الصور والحوادث التي تهرب بعيداً حيث الماضي البعيد.

نُشرت مسرحية " شرق كارديف " عام ١٩١٦ وكانت أول مسرحية أنتجها أونيل وقدمت على مسرح " WARF " وشارك أونيل بتمثيل دور

الضابط الثاني في السفينة. تقول "مس كينتون " : كان أونيل قد وصل "برفنستون " في الليل لأول مرة وقرأ علينا مسرحية " شرق كارديف " وعرفنا بأن لدينا هذا العام شيئاً ذا قيمة وقال لي أحد النقاد ممن شاهدوا افتتاح المسرحية بأن لدى الكاتب قوة لا توصف في كيفية بناء المسرحية وتركيبها ، إن تأثير مسرحيتي "شرق كارديف والظمأ" كان بالغاً حتى أننا شعرنا تلقائياً بأننا اكتسبنا تجربة عميقة لدى مشاهدتنا لهما" وتذكر الناقدة الأمريكية "سوزان جاسبيل" في مذكراتها عن ليلة افتتاح عرض مسرحية "شرق كارديف": لم أر قط عرضاً مسرحياً أكثر إثارة للمشاعر من تمثيلنا لمسرحية " مبحرون شرقاً إلى كارديف " أول مرة على المسرح إذ كان البحر في جانب أونيل حيث انتشر الضباب في ليلة الافتتاح كما مكتوب في النص تماماً وانطلقت صفارة الإنذار تدوي في المرفأ وكان المد مرتفعاً والأمواج تتكسر تحتنا ومن حولنا مندفعة خلال الثقوب الخشبية موحية بإيقاعات البحر ومزاجه في الوقت الذي كان البحار الضخم يلفظ أنفاسه ويتحدث إلى صديقه " دريسكول " عن الحياة التي طالما تاق إليها على الأرض اليابسة.

قصة المسرحية

تدور مسرحية " شرق كارديف " حول بحار زلت قدمه وهو يهبط على سلم السفينة فأصيب إصابة قاتلة، كما تكشف عن جذور الاغتراب، فأحداث المسرحية تقع في سفينة وصلت إلى منتصف الطريق في منطقة مابين "نيويورك وكارديف"، البحارة في تلك السفينة يشعرون بالغربة التي ترهقهم وتذيقهم الجوع والخوف وهذا ما يشعر به البحار " يانك " وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

حياة البحار هذه ليست شيئا يبكي المرء على مفارقته، سفينة تتبع أخرى،دورة عمل شاق، أجر ضئيل وطعام حقير، تطوف العالم كله دون أن ترى منه شيئاً.

إن المجتمع لم يعد باستطاعته أن يغمض عينيه عن طبيعة العالم الذي حوله كما كان تواقا لأن يرى تعليلاً للفوضى التي يشاهدها خارج المسرح.

يرى الناقد " دوريس فوك " في كتابه الموسوم " أونيل والعنف التراجيدي ": أن المسرح يجب أن يعود بنا إلى سمو الإغريق وإذا لم يكن لدينا الآن آلهة أو أبطال نصورهم فلدينا العقل الباطن الذي يعد مصدر كل هذه الآلهة وهؤلاء الأبطال "

إن التفاعل بين روح البحر الجبارة والرغبة في الاستقرار على الأرض تكمن في أغلب أحداث مسرحيات أونيل، إن شخصيات مسرحيات

أونيل الرئيسية شعراء حالمون غير مؤهلين للتأقلم مع عالم مادي يعادي الشعر، هؤلاء الرجال والسيدات ينحرفون عبر تيار الحياة ويناضلون في يأس للحفاظ على كيانهم والوصول إلى البر السعيد لأحلامهم، إنهم يمثلون مفارقة غريبة في الحياة فعلى الرغم من أن حلمهم جميل ومشروع إلا أنه لهذا السبب ذاته تتحطم حياتهم، لقد آتى " يوجين أونيل " وزملاؤه من الكتاب المتميزين في المسرح الأمريكي ليختصروا حالة التخلف في سنين قليلة وبهذا لحقت الدراما الأمريكية بالركب الأوروبي بين ليلة وضحاها.

تدور أحداث المسرحية قبل وقوع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

الشخصيات

يانك

دريسكول

كوكي

دافيز

سكوتي

أولسون

بول

سميتي

إيفان

القبطان

مساعد القبطان



البحر في ليلة ملبدة بالضباب، منتصف الطريق بين نيويورك وجزيرة كارديف، غرفة قيادة ناقلة البضائع الإنجليزية " جلينكيرن " وهي ذات أبعاد مختلفة جانباها يكادان يلتقيان في نهايتها وبذلك تتخذ شكلاً مثلثاً.. على جوانبها شيدت آسرة النوم طول كل منها ستة أقدام أو أكثر بقليل، ثلاثة آسرة رتبت الواحد فوق الآخر يفصل بين كل منها والآخر مساحة ثلاثة أقدام، وفوق الأسرة من ناحية اليمين تبدو ثلاث أو أربع فتحات دائرية وأمام الأسرة وضعت مقاعد خشبية من النوع الرخيص وفوق مكان الأسرة إلى اليسار يوجد مصباح وضعت له مساند وفي المقدمة اليسرى لغرفة القيادة باب وعلى الأرض بالقرب منه دلو به إناء من الصفيح وكذلك تتدلى معاطف مطرية معلقة على خطاف بجوار الباب، وتبدو تحت الأسرة حقائب وصناديق ملابس وأحذية من النوع الذي يرتديه البحارة وأشياء أخرى مبعثرة في المكان تشير إلى الفوضى وعدم الترتيب، بين دقيقة وأخرى يسمع صوت دوي صفارة الباخرة يعلو في نوبات منتظمة على كافة الأصوات الأخرى، بينما يجلس خمسة رجال على المقاعد يتجاذبون أطراف الحديث، أنهم يرتدون بدلات عمل تبدو وسخة مرقعة في بعض أجزائها مصنوعة من قطع قماش خشن،

وكذلك يرتدون قمصاناً من الصوف الخشن، جميعهم يرتدون جواربهم وأربعة منهم يدخنون الغليون، الهواء في غرفة القيادة للباخرة " جلينكيرن " مشبع برائحة فضلات الطعام..

في المقدمة اليسرى من غرفة القيادة وفوق السرير العلوي يرقد النرويجي " بول " إنه الآن يعزف نغمات منخفضة لموسيقى عدد من الأغاني الشعبية الشائعة مستخدماً جهاز " الاكورديون " القديم، يتوقف عن العزف بين لحظة وأخرى ليسترق السمع إلى الحديث الذي يدور بين الرجال الأربعة.

في مؤخرة غرفة القيادة وفي السرير السفلي يرقد رجل أسود الشعر جامد القسمات ويبدو أنه أستيقظ قبل لحظة من النوم، إحدى رجليه ممدودة في حالة استرخاء على حافة السرير ووجهه شاحب بشكل مخيف وتسيل على جبينه قطرات من العرق المتصبب، الوقت مساء، إنه يقترب من الساعة الثامنة وعشر دقائق، تلك الفترة تمثل نهاية نوبة الحراسة..

كوكي: (رجل ضئيل الجسم، إنه يروي تفاصيل قصة بينما ينصت الآخرون إليه وعلى وجوههم علامات الاهتمام والمتابعة، الجميع يصغون غير مصدقين ما يقوله وذلك يبدو واضحاً من خلال مقاطعتهم له عند نهاية كل جملة يقولها بقهقهة صاخبة تدل على الاستهزاء) كانت تغازلني.. نعم هذه الحقيقة والله كانت امرأة بربرية متفجرة الحيوية هل تعلمون أنها دهنت جسدها بزيت جوز الهند، آه سحقاً لي لم أكن أستطيع أن أتحمل ذلك فقلت لها أيتها البقرة العجوز

القبيحة وناولتها صفعة على أذنها أطارت صوابها و...(يقاطع بعاصفة من الضحك من قبل الآخرين)

دافيز: (رجل في منتصف العمر لون شعر رأسه وشاربه أسود) أنت كذاب ياكوكي..

سكوتي: (شاب أسمر) هو.. هو.. أنك لم تذهب إلى غينيا الجديدة في حياتك أبداً، هذا ما أعتقده..

دريسكول: (ايرلندي قوي البنية غائر القسمات يبدو في هيئة المصارع المحترف) كيف يمكنك أن تشك في ذلك يا أولي، لابد أنها إحدى ملكات البربر ومن غيرها يمكن أن تتخيل مع نفسها أنها مؤهلة لأن تعشق رجلاً وسيماً طائشاً وماجناً مثل كوكي (الجميع ينفجرون بالضحك الشديد)

كوكي: (غاضباً) ليخطف الله روحي وأصبح من الأموات لو لم يكن كلامي صحيحاً.. كل كلمة قذرة سمعتموها كانت صحيحة، تذكروا في تمام عيد الميلاد القادم ستكون عشر سنوات قد مضت.

سكوتي: المسكينة كانت تطمع في عشاء لذيذ ليلة عيد الميلاد.

دافيز: لقد تصرفت معها كطائر شرس عتيق.

دريسكول: من حسن حظكما أنكما نفذتما بجلدكما، فإن ملكة أكلة لحوم البشر كانت ستموت من وجع البطن في اليوم التالي على عيد الميلاد، لا يشك حتى الشيطان في ذلك

(يقابل كلامه بقهقهة صاخبة طويلة)

كوكي: (غاضباً ومتجهماً) لعنة اللّه على عقولكم الرديئة (يئن الرجل المريض الذي يرقد في السرير الأسفل في المؤخرة ويتقلب متوجعاً من الألم يخيم الصمت المطبق فجأة على المكان ويستدير جميع الرجال نحوه ويحدقون فيه بقلق كبير)

دريسكول: (في همسة منخفضة) من الأفضل أن لا تمضي في الكلام بهذا الصوت المرتفع بينما الرجل المريض يحاول أن يحصل على قليل من النوم (يتحرك على أطراف قدميه في هدوء وحذر إلى جوار السرير) يانك ربما تحتاج جرعة من الماء..؟ (يانك لا يجيب بشيء، دريسكول ينحني وينظر إليه) إنه نائم، ولا شك أن أنفاسه تتحشرج في حلقه، صوتها مثل صوت خرير الماء في الميزاب (يعود راجعاً ويتحرك في هدوء، الجميع يجلسون وقد خّيم عليهم الصمت وأصبحوا يتحاشون النظر في وجوه بعضهم البعض).

كوكي: (بعد برهة صمت صغيرة) يا للشيطان المسكين، لقد انتهى أمره ليساعده اللّه.

دريسكول: كفاك نعيقا، إنه لم يمت بعد، سوف تكون الأيام طويلة أمامه بمشيئة اللّه.

سكوتي: (يهز رأسه كمن يشك في ذلك.. إنه في حالة مريرة يا رجل، أصبح وضعه الصحي سيئاً للغاية.

دافيز: من حسن حظه أنه مازال على قيد الحياة، كثير من الرجال قبله انطفأ نورهم على أثر سقطة كتلك.

أولسون: هل رأيته وهو يسقط..؟

دافيز: لقد كنت إلى جواره تماما، كنا أنا وهو نازلين إلى رقم اثنين لنقوم ببعض أعمال التنظيف التي كلفنا بها، وإذا هو وفي غير انتباه ينقل أقدامه فيخطئ السلم ويهوي رأسا إلى القاع، بقيت متجمداً في مكاني ولبرهة كنت خائفاً أن ألقي نظرة عليه، ثم ارتفع صوته وهو يئن، فهرعت إليه نازلاً، لقد كان مصاباً إصابة سيئة في داخله لأن الدماء كانت تقطر من جانب فمه، كان يئن بشدة ولكنه لم ينبس ببنت شفة ولم ينطق بكلمة واحدة.

كوكي: أوه يا للجحيم ! أتذكرون أيها الأغبياء عندما حملناه إلى هنا كان يردد أوه يا للجحيم.. هكذا ولاشيء غير ذلك.

أولسون: هل يعرف القبطان أنه أصيب...؟

كوكي: ذلك المنحرف العجوز الغبي، وما الذي يمكن أن يعرفه عن كل شيء..؟

سكوتي: (في احتقار شديد) إنه يتظاهر بكثير من المعرفة وهو لا يفقه شيئا.

دريسكول: (بغضب شديد) إنها حقا حياة الشياطين لا شك في ذلك وماذا يعني أن تكون في عرض البحر الموحش القاسي دون

أن يفصل بينك وبين قبر لا تعرفه وفي أعماق المحيط سوى غبي طويل الساقين أشيب الفودين مثله، إن في ذلك الكفاية لأن يجعل أي قديس لا يتمالك نفسه فيطلق الشتائم عندما يراه ممسكاً بساعته الذهبية في يده، محاولاً أن يبدو في حكمة البوم الذي يقف على غصن شجرة خاوية، بينما هو كل الوقت لا يعرف أبداً ما إذا كان ما أصاب يانك هو الكوليرا أم أتفه الأمراض.

سكوتي: (في لهجة ساخرة) لا شك أنه قد أعطاه شربة ملح، أليس كذلك..؟

دريسكول: عليه اللعنة ذلك العجوز الخرف، إنه لم يعطه شيئاً على الإطلاق، بل إن كل ما فعله فقط النظر إلى الكتاب الذي كان معه، ثم هز رأسه ومضى خارجاً دون أن يقول كلمة ونائبه في أعقابه لا يزيد عن حكمه في شيء، لعنة الله عليهما..

كوكي: (بعد برهة صمت) كان يانك زميلاً طيباً، ذلك الصديق البائس المسكين لقد أقرضني أربعة شلنات في نيويورك أجزم لكم... نعم أقرضني...

دريسكول: (بحرارة) كان زميلاً طيباً، لا يوجد من هو أفضل منه أبداً، إنك لم تقل سوى الحقيقة ياكوكي، لقد مضت أكثر من خمس سنوات منذ أن أبحرت معه لأول مرة ولم نفترق بعدها قط، لا في السراء ولا في الضراء، لقد

تشاجرت معه مراراً، سامحنا الله، لم يكن ليحدث ذلك إلا ونحن ثملون، كنا دائماً نتصافح في صبيحة اليوم التالي، كل ما كان له كان لي، كم من مرة على شاطئ البحر كان سيعتدي عليّ بالضربّ أو بما هو أسوأ منه،والآن..!! (يرتعش صوته وهو يكافح لكبح جماح عواطفه المتفجرة) فليأخذني الشيطان لو لم أكن أريد البكاء كامرأة عجوز مسكينة، إنه لن يموت أبداً، بل لعله سيعيش أعواماً طوالاً وكثيرة.

دافيز: سيفيده النوم، إنه يبدو أفضل الآن.

أولسون: ولكن لو كان يأكل شيئاً.

دريسكول: هل تستطيع أن تجعله يأكل وهو في حالته هذه، من المؤكد أنه من الصعب جداً حتى علينا نحن الذين نتمتع بأمعاء سليمة أن نهضم تلك النفايات التي توجد على هذه السفينة الصدئة التي ستنفذ قوتنا.

سكوتي: (متقززا) هذه هي سفينة الجوع..

دافيز: نعم، الكثير من العمل والقليل جداً من الطعام، أما أصحابها فهم يتجولون راكبين العربات.

أولسون: لحم مفروم نتن.. لحم مفروم نتن، طعام مسلوق، مربى له رائحة كريهة، اللعنة (يبصق في الهواء مشمئزا).

كوكي: نفايات نتنة مقيتة لا تليق إلا بالخنازير والدواب.

دريسكول: وغسيل الأطباق الذي يسمونه شاياً!!، والمعجون الصلب الذي يطلقون عليه خبزاً ، عندما يدخل بطني أحس أنني قد ابتلعت دستة من المسامير الغليظة ، والكعك الذي يكسر ضرس الأسد إذا كان من سوء طالعه أن يقضم واحدة منه (ترتفع حماسة المعاناة لدى الجميع وبدون وعي منهم تكون أصواتهم قد ارتفعت من دون الانتباه إلى الرجل المريض وفي غمرة الطرب الذي يألفه البحارة عندما يجدون شيئا يعلنون تذمرهم منه).

بول: (وهو يهز قدميه جالسا على أحد أطراف سريره ويتوقف عن العزف على أوركوديونه ويقول ببطء) لقد نسيتم البطاطا الفاسدة (يعاود العزف من جديد ، تند من يانك أنة متوجعة).

دريسكول: (يرفع يده عالياً) أغلقوا أفواهكم جميعا ، إنه لشيء فظيع أن نمضي في الشكوى عن أمعائنا بينما ينصت إلينا رجل مريض، ربما كان على وشك الموت (ينهض ويلوح بقبضته نحو النرويجي) سحقاً لك، أيها الحيوان الغبي، ألق جانباً بآلتك المشؤومة تلك وإلا حطمت لك وجهك القبيح، هل تسمي هذه الأصوات النشاز موسيقى تليق في حضرة رجل مريض...؟ (يضع بول الأوركوديون على السرير ويستلقي مغلقاً عينيه، يذهب دريسكول ويقف إلى جوار يانك، يسمع صوت صفارة الباخرة بشكل واضح جداً في ذلك السكون المطبق)

دافيز: لعنة الله على هذا الضباب (يمد يده تحت أحد الأسرة ويجذب حذاءين بحريين يعمد إلى لبسهما) جاءت نوبتي في الحراسة أيضا، لابد أن الساعة الآن حوالي الثامنة يا شباب (الجميع يرتدون معاطف مطرية وأغطية للرأس للوقاية من المطر وأحذية طويلة سميكة، ما عدا أولسون، إنهم يستعدون للصعود إلى السطح لتولي نوبة الحراسة، أما أولسون فيزحف في سرير منخفض إلى اليمين).

سكوتي: إنها نوبتي أمام عجلة القيادة.

أولسون: (متأففاً) ما هذه الرحلة التي لا يرافقنا فيها سوى طقس قذر، لقد فارق النوم عيني بسبب صوت الصفارة (يدير ظهره للنور وسرعان ما يخلد إلى النوم ويتعالى صوت شخيره)

سكوتي: إذا استمر هذا الضباب الكثيف فإنني أجزم أننا لن نكون في كارديف قبل أسبوع على أقل تقدير.

دريسكول: في ليلة مثل هذه الليلة تماماً غرقت السفينة العتيقة دوفر، تماماً في مثل هذا الوقت، كنا نجلس جميعاً في برج المراقبة ويانك يجلس بجانبي، عندما سمعنا فجأة صدمة شقت من أثرها السفينة ثم أخذت تميل بنا حتى تكدسنا فوق بعضنا البعض في جانب منها، ما حدث بعد ذلك فلا أذكره ولكننا توصلنا بصعوبة بالغة إلى إنزال قوارب النجاة على جانب السفينة قبل أن يغطس حطامها العتيق في أعماق البحر، كان يانك معي في قارب واحد، سبعة أيام

مميتة ونحن نضرب على غير هدى ونكاد لا نجد قطرة ماء أو لقمة نقتات بها ، يانك هو الذي أمسك بي عندما أردت أن أقفز إلى المحيط، كنت أصرخ كالمجنون من شدة العطش، وقد انتشلنا في اليوم ذاته، يانك هو الوحيد الذي أحتفظ بصلابته ومضى يقود القارب.

كوكي: (متبرماً ومحتجاً بشدة) تباً لي، أنت مأفون مفرط في الهذيان يا دريسكول ! عندما تتحدث عن تلك الذكريات المشوهة وتلك السفن العتيقة الغارقة في ضباب يشبه هذا الضباب القاتم (يتصاعد أنين يانك وهو يتقلب متوجعاً فاتحاً عينيه، يهرع دريسكول إلى جانبه)

دريسكول: هل تشعر بتحسن يا يانك..؟

يانك: (في صوت منخفض) كلا...

دريسكول: لا يا يانك.. إنك تشعر بتحسن، إنك تبدو في قوة ثور (مستشهداً بالآخرين) هل أنا أكذب عليه..؟

دافيز: لقد أفادك النوم..

كوكي: سنتناول قدحك من الجعة في كارديف في مثل هذا اليوم بعد أسبوع.

سكوتي: وستأكل معنا سمكاً وبطاطا مقلية، أجل هذا وعد..

يانك: (متبرماً) ما الذي يجعلكم تكذبون جميعاً..؟ هل تعتقدون أنني خائف من أن.. (يتردد في نطق الكلمة الأخيرة كما لو

أنه يشعر بالفزع من ذكرها).

دريسكول: لا تفكر في مثل هذه الأفكار (يسمع ناقوس السفينة يدق ببطء ثماني مرات، ومن برج السفينة القائم فوقهم يأتي صوت نائب القبطان وهو يطلق صيحة طويلة (كل شيء على ما يرام... ينظر الرجال إلى يانك نظرات مترددة كما لو كانوا غير متأكدين من أنه يجدر بهم أن يتركوه).

يانك: (في خوف واضح وحشرجة قوية في صوته) لا تتركني يا دريسك، إني أموت.. أقول لك لن أبقى هنا وحيداً أصغي إلى شخير كل هؤلاء النيام، سأخرج إلى السطح...(يقوم بمحاولة النهوض، لكنه يسقط على ظهره ويطلق أنة حادة وتخرج أنفاسه في شهقات متقطعة وترافقها حشرجة مخيفة) لا تتركني يادريسك (يظهر على وجهه الشحوب ويسقط رأسه إلى الوراء مرتجاً).

دريسكول: لا تقلق يا يانك، لن أخطو خطوة واحدة خارجاً من هنا، دع ذلك الشيطان رئيس البحارة يطلق اللعنات حتى ينفجر دماغه الأسود، يا كوكي كلم القبطان، خبره أن يانك قد انتابته نوبة سيئة وأن علي أن أبقى معه برهة أخرى من الزمن.

كوكي: سأفعل (يخرج الثلاثة كوكي، دافيز، سكوتي في هدوء).

كوكي: (يأتي صوته من الممر) اللعنة... ضباب كثيف..

دريسكول: هل أنت راض الآن يا يانك...؟ (دريسكول لا يسمع أية إجابة، ينحني على الجسد الذي لا حراك فيه) لقد أغمي عليه، كان الله في عونه (يتناول إناء من الصفيح من الدلو ويبلل جبين يانك بالماء، يرتعد يانك ويفتح عينيه)

يانك: (ببطء) اعتقدت أنني ذاهب..! ما الذي جعلك توقظني..؟!

دريسكول: (يفتعل المرح) هكذا أنت مشتاق إلى الفردوس..؟

يانك: (مكتئباً) مصيري الجحيم، أعرف ذلك...

دريسكول: (يرسم علامة الصلب) وحق القديسين لا تمضي في الكلام على هذا النحو..! لا تجعل جسدي يقشعر من الخوف.. اجزم أنك بعد يوم أو يومين ستكون على سطح السفينة تنظف الأوساخ تنافس أكثرنا صحة (يانك لا يجيب بل يطبق جفنيه منهكاً، يدخل سميتي البحار الذي كان يقوم بنوبة المراقبة، هو شاب إنجليزي، يخلع معطفه المطري الذي يقطر ماء، في تلك الأثناء أيضاً يدخل الرجل الذي انتهت نوبته أمام عجلة القيادة، هو شخص أسمر اللون ضخم الجسم ذو وجه مستدير يشع بالبلادة إنه " ايفان "، يخطو سميتي بضع خطوات وبهدوء نحو دريسكول بينما يزحف الآخر إلى سرير أوطأ)

سميتي: (هامساً) كيف حالك يا يانك...؟

دريسكول: أعتقد أحسن، ولكن اسأله بنفسك.. إنه مستيقظ..

يانك: أنا بخير.. شكراً يا سميتي..

سميتي: أنـا سـعيد أن أسمـع ذلـك يـا يانـك (يزحـف إلى سـرير مرتفـع وسرعان ما يغط في نوم عميق).

ايفان: (البحار ذو الملامح البليدة والذي دخل في أعقاب سميتي يدير رأسه في اتجاه يانك) يانك، هل تشعر أنك على ما يرام..؟

يانك: (بضعف واضح) أجل يا إيفان...

ايفان: هذا شيء جيد (ينقلب على جنبه الآخر ويغيب في نوم عميق).

يانك: هنا (يشير إلى الجزء الأسفل من صدره عند الجانب الأيسر) ألم، يشبه الجحيم، أظن أن قلبي العتيق قد أنفجر، أوووووه (تتقلص قسمات وجهه الشاحب من فرط الألم، يضغط يده على جنبه ويتلوى على حافة السرير وقد تطرز وجهه بحبات العرق النافر).

دريسكول: (برعب كبير) يانك... يانك.. ماذا دهاك.؟ (يقفز من مكانه واقفاً على قدميه) سأذهب جرياً إلى القبطان..(يشرع في الحركة نحو الباب)

يانك: (يجلس في سريره وقد استبد به الخوف) لا تتركني يادريسك أرجوك لا تتركني يادريسك، أرجوك لا تتركني وحيداً.. (يميل جانباً ويبصق ..يعود دريسكول إليه) دماء...

دريسكول: دماء مرة أخرى، من الأفضل أن استدعي القبطان..

يانك: كلا يا دريسك لا تتركني، لو فعلت سأنهض واتبعك،

لست جباناً ولكني أخاف البقاء هنا، مع كل هؤلاء الذين يغطون في النوم (يستجيب دريسكول لطلب يانك، لا يدري ماذا يفعل ثم يجلس على المقعد القريب منه، يانك يشعر بالهدوء يرقد على فراشه وهو ينظر إلى دريسكول) ليس في استطاعة قبطان السفينة أن يفعل شيئاً مهماً.. أنت نفسك تعرف ذلك، إن الألم الذي يجتاحني ليس سيئاً الآن، ولكنني اعتقدت في البداية أنه قد قضي علي، آه يادريسك كان كمنشار مدو يقطع في أعماقي..

دريسكول: (بشراسة متعاطفاً معه) لعنة الله عليه (يدخل القبطان ونائبه.. القبطان رجل عجوز ذو شارب وشعر أشيب منسدل على فوديه، أما نائبه فهو حليق الوجه ويبدو في منتصف العمر كلاهما يرتدي بدلة زرقاء بسيطة)

القبطان: (وهو يخرج ساعته من جيبه ويجس نبض يانك) كيف حال الرجل المريض...؟

يانك (بضعف شديد) على ما يرام، يا سيدي..

القبطان: والألم الذي في الصدر..؟

يانك: لا زال يؤلمني يا سيدي، إنه أسوأ من أي وقت مضى...

القبطان: (يخرج ميزانا للحرارة من جيبه ويضعه في فم يانك) هاك ميزان الحرارة، لا تتحرك، أبقه في فمك تحت لسانك لا فوقه.

النائب: (بعد برهة صمت) أليست هذه نوبتك في الحراسة على ظهر السفينة يا دريسكول..؟

دريسكول: أجل... أجل يا سيدي.. ولكن يانك كان يخاف البقاء وحيداً ، و.....

القبطان: أحسنت فعلاً يا دريسكول...

دريسكول: شكرا لك يا سيدي..

القبطان: (يتطلع إلى ساعته) دقيقة أو ما قاربها (ثم يخرج ميزان الحرارة من فم يانك ويذهب إلى المصباح لقراءته، تبدو على وجهه إمارات الضيق يدعو نائبه ودريسكول إلى الركن بجوار الباب، بينما يختلس يانك النظرات إليهم، القبطان يتحدث بصوت خفيض كالهمس إلى نائبه) كلاهما في ارتفاع مريب، حرارته ونبضه (حديثه إلى دريسكول) هل رأيته يبصق دماً مرة أخرى..

دريسكول: ليس كثيراً طوال الساعة المنقضية يا سيدي، ولكن قبل ذلك كان يبصق..

القبطان: كمية كبيرة..

دريسكول: أجل يا سيدي...

القبطان: لعله تناول طعاماً ما..؟

دريسكول: كلا يا سيدي..

القبطان: هل شرب ذلك الدواء الذي أرسلته إليه...؟

دريسكول: أجل يا سيدي، ولكنه لم يبق في معدته مدة طويلة...

القبطان: (وهو يهز رأسه) أشعر بخوف حقيقي، إنه في غاية الوهن، لا يمكنني أن أفعل أي شيء آخر له، إن الأمر أصعب مما أقدر عليه، لو كان هذا المرض قد تأخر حدوثه أسبوعاً فحسب، لوصلنا إلى كارديف في الوقت المناسب لأن...

دريسكول: (مقاطعاً بلطف وراجياً) من فضلك حاول مساعدته بطريقة ما، أرجوك يا سيدي..

القبطان: (وقد نفذ صبره) لكني يا دريسكول الطيب لست طبيباً (ثم بلهجة أكثر حلماً إزاء ما يراه من حزن عميق لدى دريسكول) أعرف يا دريسكول أنت ويانك كنتما زميلين على ظهر السفن منذ وقت طويل..؟

دريسكول: خمس سنوات أو أكثر يا سيدي..

القبطان: أعرف ذلك، أعرف، لا تدعه يتحرك، اجعله يلزم الهدوء ولنأمل خيراً في الساعات القادمة، سأعاود قراءة كتاب العقاقير وأرسل إليه دواء آخر، شيئاً ما يخفف الألم بأي حال (يذهب نحو يانك مواسياً) تجلد يا رجل، اصمد يانك، غدا ستتحسن (بتخاذل مع حالة ارتباك إزاء نظرات يانك الثابتة) سنساعدك وتستعيد كامل صحتك وتصبح على خير ما يرام، حسناً، هل أنت آت، يا روبنسون..؟ لعنة الله (يخرج مهرولاً يتبعه نائبه).

دريسكول: (محاولاً أن يخفي حالة القلق) ألم أخبرك يا يانك أنك لست مريضاً ولا حتى نصف المرض الذي خيل إليك..؟ لن ينقضي هذا الأسبوع إلا ويسمح لك القبطان بأن تصعد من جديد إلى ظهر السفينة لتطلق الشتائم واللعنات كفارس أصيل..

يانك: لا تكذب يادريسك لا تكذب.. لقد سمعت ما قاله القبطان وحتى لو لم أكن قد سمعته يمكنني أن أخبرك من واقع ما أحس به أنا أعرف ماذا سيحدث (يتردد لحظة ثم بثبات) سأموت، ذلك هو الأمر الذي أثق فيه، وكلما كان أسرع كلما كان أفضل..!

دريسكول: (بعنف) كلا عليك اللعنة يا يانك، لن تموت، لن أدعك...

يانك: لا فائدة من ذلك يادريسك، الموت قادم وأنا لست خائفاً، أعطني جرعة من الماء، هلا سمحت يادريسك..؟ ‘ن حلقي ملتهب (يتحرك دريسكول ليحضر إناء مليئاً بالماء ويسند رأس يانك الذي يشرب في جرعات كبيرة)

دريسكول: (باحثاً عن كلمة يطمئن فيها يانك) هل تشعر بأنك أكثر ارتياحاً الآن...؟

يانك: أجل... الآن، أدرك أن كل شيء قد انتهى (لحظة صمت قصيرة) لا يجب أن تأخذ الأمر بهذه الصعوبة يادريسك لقد كنت أفكر الآن في حالة الموت فوجدته ليس على ذلك القدر من السوء الذي يتصوره الناس..

إنني لم أؤمن مطلقاً بما يتحدث به رجال الدين أولئك الذين يصفون أنفسهم ربابنة السماء وما ينفثون من مواعظ لم أكن ذا عقيدة في وقت من الأوقات، ولكنني الآن أدرك انه مهما سيجيء بعد هذه الحياة فلا يمكن أن يكون أسوأ منها على الإطلاق، إنني لا أود أن أفارقك يا دريسكول ولكن.. ذلك هو كل ما أستطيع أن أقوله الآن..

دريسكول: (متوجعاً بمرارة) يانك، يا رجل، لا تقل مثل هذا الكلام الموجع...

يانك: حياة البحار هذه ليست شيئاً يبكي المرء على مفارقته، سفينة تتبع أخرى، دورة عمل شاق، أجر ضئيل وطعام حقير، وعندما تنزل في ميناء فلا شيء يلوح في عقلك سوى سكرة تنتهي بمشاجرة وتضيع بعدها كل نقودك، ثم بعد ذلك إبحار من جديد، ما من مرة تقابل فيها أناساً دمثي الأخلاق، ما من مرة تخرج في أي ميناء عن المنطقة المصرح للبحارة بارتيادها، تطوف العالم كله دون أن ترى منه شيئاً قط ودون أن يكون ثمة من يكترث لك أكنت حياً أم ميتاً (يواصل بابتسامة مريرة) ليس في كل ذلك ما يجعلك تأسف على فقدك إياه يادريسك، إنها الحقيقة المرة..

دريسكول: (مكتئباً) إنها الجحيم، حياة البحر إعصار خطير..

يانك: (شارد الفكر ينظر بعيداً) دريسك الأمر الرائع أن تبقى

على اليابسة كل حياتك وأن يكون لك فوقها بيت ومزرعة بها أبقار وخنازير ودجاج، في وسط اليابسة بعيداً عن البحر حيث لا تراه ولا تشم رائحته أو تفكر بالسفن الغاطسة فيه، إنه لرائع يادريسك أن يكون لك زوجة وأولاد تلعب معهم بالليل عقب العشاء وعندما تكون قد فرغت من عملك اليومي، إنه لرائع يا دريسكول أن يكون لك بيت فوق اليابسة.

دريسكول: (متنهداً بحزن شديد) لا بد، ما من شك في ذلك، ولكن ما فائدة التفكير فيه..؟ مثل هذه الأشياء ليست لمن كانوا على شاكلتنا..!

يانك: إن ركوب البحر لا بأس به لمن كان في مرحلة الشباب لا يشغل باله شيء، ولكننا لم نعد شباباً وإلى حد ما لا أدري، هذا العام الأخير يبدو ثقيلاً، وتملكتني الرغبة يادريسك في أن اعتزل حياة البحر معك طبعاً، علينا أن نوفر نقودنا ونذهب إلى كندا أو إلى الأرجنتين أو أي مكان آخر وأن نشتري مزرعة صغيرة، تكفي فحسب لأن نحيا فيها، إنني لم أخبرك قط بهذه الأفكار لأنني اعتقدت أنك قد تسخر مني...

دريسكول: (باهتمام بالغ) أسخر منك..؟ بينما أنا نفسي كنت أفكر بتلك الأفكار وأحلم بها طوال تلك الأيام التي انقضت، إنها أفكار رائعة سننفذها بلا أدنى شك لو أنك تخليت عن

ظنونك المجنونة عن – عن كونك مريضاً إلى ذلك الحد.

يانك: (بحزن كبير) أصبح الوقت متأخراً يادريسك، ما كان علينا أن نقوم بهذه الرحلة، وعندئذ... دريسك كيف أمكن لكل هذا الضباب أن يدخل إلى هنا..؟

دريسكول: الضباب...؟... أي ضباب...؟!

يانك: كل شيء يبدو معتما، إن عينيّ قد دب فيهما الوهن على ما أظن... عما كنا نتكلم منذ دقيقة مضت..؟ أواه تذكرت مزرعة و... أصبح الوقت جد متأخر.. (يشرد تفكيره بعيداً) الأرجنتين..؟ هل تذكر الأوقات التي أمضيناها في بوينس آيرس.. ودور السينما التي ارتدناها في بارا كاس..؟ كان بعضها في مستوى طيب، هل تذكر..؟

دريسكول: (بارتياح ورضى كبير) نعم أذكر ذلك ويذكر معي عازف البيانو فهو لن ينسى اللكمة التي سددتها له في عينه ونحن نهرع هاربين..

يانك: وأتذكر أيضاً تلك المرة التي كنا فيها على الشاطئ، وكان علينا أن نذهب إلى منزل تومي مور استعداداً للإبحار..؟ وباعنا تومي معاطف تالفة وأحذية مليئة بالثقوب ورحلنا على ظهر سفينة شراعية أقلعت بنا في رحلة حول رأس هورن وتقاضى منا لقاء ذلك مرتب شهرين، وكذلك أتذكر الأيام التي كنت أجلس فيها على مقاعد المنتزه

على طوال " باسيوكولون" والخفراء يسلطون علينا أنظارهم الحادة..؟ وأتذكر أيضا الأغاني في حانة " أوبرا البحارة " حيث كان الفتى يعزف ألحاناً ساخنة.. أتذكرها...؟

دريسكول: أذكرها بلاشك..

يانك: ولا بلاتا – أوف، رائحة المدابغ الكريهة، لقد كنت أحب الأرجنتين كلها ماعدا تلك الحانة التي يقدمون فيها الخمور الحارة، كم تعودنا أن نسكر فيها أتذكر يادريسك...؟

دريسكول: وكيف أنساها، إن رأسي تؤلمني لمجرد ذكر تلك الحانة، حانة الشيطان...

يانك: أتذكر يادريسك تلك الليلة التي جن فيها جنوني من ذلك الحر الشديد في سنغافورة..؟ وتلك الحادثة التي قبض فيها رجال البوليس عليك وكيف زج بنا في السجن في سيدني بسبب الشجار...؟

دريسكول: أذكر تلك الأحداث جيداً..

يانك: وتلك المشاجرة العنيفة في المرفأ في رأس الرجاء الصالح (ينم صوته عن اضطراب داخلي كبير)

دريسكول: (يجيب بسرعة) انسَ ذلك، حادث وقع في الماضي..

يانك: وهل تعتقد أنه سيغفرها لي...؟

دريسكول: (حائراً وقد ألتبس عليه الأمر) من...؟

يانك: الرب، اللّه.. إنهم يقولون أنه يرى كل شيء.. لابد أنه يعلم أن ما حدث حدث في معركة لا غش فيها، لقد كنت في حالة دفاع عن النفس، ألا تعتقد ذلك...؟

دريسكول: بالطبع دفاع عن النفس، لقد طعنته وكان يستحق هذه الطعنة، ذلك الخنزير الخبيث، بعد أن حاول هو أن يطعنك في ظهرك غدرا، ليكن ضميرك مرتاحاً يا يانك، كان بودي أن لا يكون لاصقا بروحي ما هو أشد سواداً من ذلك، أذن ما كنت أخاف الملاك جبريل نفسه...

يانك: (مرتعداً برعب شديد) لقد كنت أراه منذ دقيقة وقد انبثقت الدماء من رقبته..

دريسكول: هذه الحمى الخبيثة هي التي تجعلك ترى مثل هذه الأشياء، لا تلق بالاً أليها..

يانك: (غير متأكد) أنت لا تعتقد أنه سيغفرها لي، أقصد الرب.؟

دريسكول: كلا لا تقلق يا يانك، إذا كانت هناك عدالة في السماء (يبدو يانك مرتاحا إزاء هذا التأكيد)

يانك: (بعد برهة صمت) إننا لن نصل إلى كارديف قبل أسبوع على أقل تقدير، سأدفن في البحر..

دريسكول: (واضعاً يديه على أذنيه) أسكت يا يانك، أسكت، لن أصغي إليك..

يانك: (كما لو كان لم يسمع كلمات دريسكول) إنه مكان

جيد مثل أي مكان أخر على ما أعتقد غير أنني كنت أحب دائما أن أدفن على أرض يابسة، ولكن ما الذي سيعنيني أنا إذ ذاك (متبرماً) لو لم تكن الليلة على هذه الرداءة وتلك الصفارة التي تدوي والناس يغطون من حولي..؟ كان بودي أن تكون النجوم طالعة والقمر أيضا حتى أرقد على سطح السفينة وأتطلع إليها، كان ذلك المنظر من شأنه أن يخفف من وقع الرحيل إلى حد ما.

دريسكول: يانك استحلفك بالرب لا تتكلم هكذا..

يانك: يمكنك أن تقتسم أي أجر سيدفعونه لي مع بقية الرجال، وخذ أنت ساعتي إنها لا تساوي الكثير ولكنها كل ما أملك..

دريسكول: يانك أليس لك أقارب على الإطلاق..؟

يانك: كلا يادريسك... على ما أعلم، شيء واحد نسيته.. أنت تعرف المرأة الساقية في حانة اللقلق الأحمر في كارديف..؟

دريسكول: بكل تأكيد أعرفها، ومن ذا الذي لا يعرفها..؟

يانك: كانت طيبة معي، حاولت أن تقرضني نصف كراون عندما نفذت كل نقودي في الرحلة الماضية، أشتر لها أكبر صندوق حلوى يمكنك العثور عليه في كارديف (منهاراً ويتحدث بصوت مخنوق) من الصعب أن أبحر في هذه الرحلة التي أنا ذاهب إليها وحيداً (دريسكول يمد يده ويمسك يد

يانـك، تخـيم عليهمـا لحظـة صـمت، يجاهـد كـل منهمـا خلالها أن يتمالك نفسه) إن حلقي مثل أتون (يلهث في طلب الهواء) أعطني جرعة من الماء، هـلا سمحت يادريسك (يجلب لـه دريـسك إنـاء مـن المـاء) وددت لـو كـان ذلـك قـدحاً مـن الجعـة، أوووه (يـشرق بالمـاء ويتـشنج وجهـه محتـضراً بينمـا امتـدت يـداه لتشق مقدمـة القمـيص الـذي يرتديـه، يـسقط الإناء من بين أصابعه الهامدة).

دريسكول: بربك ماذا دهاك يا يانك..؟

يانك: متحـدثا بـصعوبة هائلـة، الـوداع يـا دريـسك (يحملـق أمامـه بعينين جاحظتين) من هذه...؟

دريسكول: من... ماذا...؟

يانك: (خـائراً) سـيدة جميلـة ترتـدي ملابـس سـوداء (يخـتلج وجهـه ويتلوى جسده في نوبة نشيج أخيرة.. ثم يتمدد متصلباً)

دريسكول: (وقد شحب وجهه مـن الرعـب) يانـك... يانـك.. قـل لـي كلمـة وحق السماء اسمعني.. (ينكمش مبتعداً عـن الـسرير راسمـاً علامة الصليب، ثم يعاود الاقتراب ويضع يده المرتعشة علـى صدر يانك وينحني عن كثب على الجثة).

كوكي: (من الممر هـادراً صوته) أوه يـا دريـسكول، هـل يمكنـك أن تترك يانك لمدة نصف دقيقة وتأتي لمساعدتي..؟

دريسكول: (غارقـاً في البكـاء) ي...ا..ن ن..ك (يركـع علـى ركبتيـه إلى

جـوار الـسرير وقـد أسـند رأسـه علـى راحتـه تـردد شـفتاه كلمات متقطعة وغير واضحة).

كوكي: (يدخل والماء يقطـر مـن معطفـه المشمع وكـذلك مـن غطـاء رأسه) لقد أنقشع الضباب (كوكي يرى دريسكول فيقف متطلعاً إليه فاغراً فاه، يرسم دريسكول علامة الصليب من جديد)

كوكي: (ساخراً) دريسكول يتلو صلاته (ثم يقع بصره على الجسد الـساكن في الفـراش ويعلـو وجهـه تعـبير مـن الفهـم الـذي تخالطه الرهبة، يخلع غطاء رأسه ويقف مـذهولاً وهـو يحـك رأسه بأصابعه).

كوكي: (في همسة تكـاد لا تسمع) تباً لي يا ألهي...ي... ا... ن..ك..



بعد نجاح أونيل في عرض مسرحية " شرق كارديف " واصل العمل في كتابة أربع مسرحيات جديدة عن حياة البحر والسفن وذلك في نهاية عام ١٩١٦ وكانت المسرحيات على التوالي هي:

زيت الحيتان ILE، **في المنطقة** IN THE ZONE، **رحلة العودة الطويلة** THE LONGE VOYAGE HOME، **قمر الكاريبي** THE MOON OF THE CARIBEES

امتازت مسرحية قمر الكاريبي بتطور ملحوظ في أسلوب الكتابة والتكنيك المستخدم في إدارة الحوار وكذلك الأحداث واستخدام

التأثيرات الدرامية بقوة، وقد وصف أونيل في رسالة بعث بها إلى الناقد " باريت كلارك " الجوانب المهمة في مسرحية قمر الكاريبي:

" إن بدر الكاريبي، تعتبر مقطوعتي المفضلة، وهي تتميز بأنها من صنعي أنا، وإذا ما دققت في شخصياتها فالبطل الرئيسي هو البحر، بطل جامح رهيب، دعني أوضح قصدي بمثل واضح، إن " سميتي " في الجوّ القائم الذي يخيم على مسرحية "في المنطقة" قد رفع إلى مستوى الأبطال الذين ينتزعون منا العطف والشفقة، أما في مسرحية " قمر الكاريبي " فقد وضعته الأحداث في مواجهة لا مفر منها مع ذلك الجو الأبدي الحزين، وهي تلك السمات التي تصف أجواء البحر، لذلك فإن صراخه المتواصل يعبر عن حالة الضعف وهو يتلاشى مع حالة الضعف الكبير، ومن ثم نحصل على ذاك المشهد الذي يمكننا من الحكم على سميتي وعلى الآخرين، فيتضح له أن عاطفته يرفضها واقع الأحداث المتصارعة، كما تجد عدم القبول مع السلوك الرديء والأفكار الهابطة التي يتميز بها المحيطون به، وتتجاوب المسرحية – قمر الكاريبي – كما اعتقد مع الواقع في حين أن المسرحية الأخرى " في المنطقة " تحل محل الواقع وتفرض رومانسية مصطنعة، أما عن قيمة الأسلوب في المسرحيتين لن أذكر شيئا سوى أنني لبلوغ مستوى أرفع من القيم الإنسانية الرفيعة ذات السمو وربما استطعت أن أشرح لك طبيعة تلك المشاعر التي تنتابني نحو القوى الغامضة التي تكمن خلف ستار الحياة، أقصد تلك القوى التي أرجو أن أتلمس ولو قدراً قليلاً من تأثيرها وقوتها، في عام ١٩٠٥ كتب الكاتب الأيرلندي " سينج " مسرحيته

الرائعة " الراكبون إلى البحر RIDERS TO THE SEA والتي يرى الكاتب فيها تمثل قوة رهيبة تستطيع أن تقضي بدون هوادة ورحمة على أبناء " موريا " بالتتابع وخلال أحداث غامضة، وفي تلك الليلة التي يكتمل فيها القمر ويصبح بدراً يكون البحر قد ازداد قوة طاغية ويكبر مع ذلك شعور " سميتي " بالمرارة والخيبة ويظهر جلياً عجزه أمام تلك الطبيعة المتمردة، وبينما تتلاعب المشاعر بسميتي ويبدو واضحاً سخطه وأنينه، نرى أن البحارة الآخرين في واد آخر، فقد دارت رؤوسهم بفعل الخمر واندفعوا ينغمسون في اللهو والمجون وقد انتشروا على ظهر السفينة التي يسطع فوقها ضوء القمر، غير مبالين بتلك الأوامر المشددة التي أصدرها القبطان، وأيضا بتلك التوسلات التي ترددها البائعة " بيلا "، تتواصل الأحداث حتى ينشب خلاف يتطور إلى عراك كبير يشترك فيه الجميع، وخلال ذلك يتمكن أحد البحارة من طعن " بادي " الذي يسقط يتلوى على ظهر السفينة ويرافق تلك الأحداث المأساوية ذاك النغم الحزين الذي يصل أتيا من الشاطئ، وإزاء تلك الحادثة المروعة يطرد الضباط البائعة بيلا وزميلاتها، بعد أن يكتشف أنهن خالفن تلك الأوامر التي أصدرها القبطان وقمن بعمل خطر عندما بعن خمراً للبحارة، وهكذا تصل الأحداث إلى ذروتها، يخيم صمت حزين مع تواصل صوت الموسيقى الحزينة والتي تبدو مزعجة في رتابة إيقاعها وكأنها صدى لذاك الحزن السرمدي الذي يلف أجواء الجزيرة ويكشف عنه ضوء قمر الكاريبي..

يصف النقاد في أمريكا مسرحية " قمر الكاريبي " بأنها مسرحية ذات حس شاعري صيغت بأسلوب درامي جميل وذات أحداث أخاذة تضع

الإنسان في مواجهة تلك القوى الغامضة التي تدير الصراع الأبدي فوق كوكب الأرض، وهي مسرحية مكملة لتلك الأحداث والمشاعر التي عرضتها " شرق كارديف " و أيضا تردد صداها في مسرحيات لاحقة أخرى مثل مسرحيتي "في المنطقة" و "رحلة العودة الطويلة"، نفس الشخصيات تتواصل في رحلة جديدة على ظهر السفينة " جلينكيرن " ورغم التغيير في الأجواء والعلاقات إلا أن المادة الفلكلورية ذات الحس الإنساني التي يستند إليها الفعل الدرامي في قمر الكاريبي والتي تقدم مزيجا من اللهجات والجنسيات المختلفة، ذاك الخليط الذي يترك أثراً واضحاً على الجو العام في مسرحية قمر الكاريبي وتثير المتابعة والاهتمام كما تنتزع التعاطف والدهشة..

في العديد من صفحات المذكرات الشخصية والمسرحية التي كتبها الكاتب " يوجين أونيل " نجد إشارات واضحة تمثل بوضوح اعتزازه الكبير بمسرحيته المبكرة " قمر الكاريبي " وقد كتب في جانب من تلك المذكرات يصفها على النحو التالي: " هي أول تحرر حقيقي من التقاليد المسرحية". ثم يضيف في جانب آخر من مذكراته قائلا: "ومادمت قد خطوت هذه الخطوة الأصيلة فلا بد أن تعقبها مسرحيات أخرى " وهذا القرار تحقق فعلاً بالمسرحيات اللاحقة التي أبدعها أونيل للمسرح الأمريكي وهي كثيرة..

وهي مسرحية ذات فصل واحد، تدور أحداثها قبل إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤

نشرت في كتاب " سبع مسرحيات عن البحر " عام ١٩١٧

الشخصيات في مسرحية " قمر الكاريبي "

- يانك
- دريسكول
- أولسون
- دافيز
- كوكي
- سميتي
- بول
- لا مبس (عامل إضاءة)
- أتشيبس (نجار)
- توم (عامل ميكانيكي)
- بيج فرانك
- ديك
- ماكس
- بادي

} عمال وقود السفينة

- بيلا
- سوزي
- نيوليت
- بيرل

} نساء زنجيات من جزر الهند الغربية

- الضابط الأول

- سكوتي

- إيفان

- عدة أفراد من العاملين في موقد غرفة الآلات في السفينة



الجانب الأمامي فوق سطح السفينة البخارية الإنجليزية "جلنكيرن" ترسو على بعد قريب من جزيرة صغيرة من إحدى جزر الهند الغربية، الوقت ليلاً نرى البدر مكتملاً يتوسط كبد السماء ويلقي بذلك ضوءاً ساطعاً فوق ظهر السفينة، يبدو منظر البحر هادئاً والسفينة هي الأخرى واقفة ساكنة..

إلى اليسار من ذلك ينتصب قائمان رافعان من قوائم صواري المقدمة، مفتوحان بزاوية قدرها خمس وأربعون درجة وقد ظهر لونهما اسود على صفحة السماء..

في الخلف يلوح الحاجز الأيسر للسفينة ويبدو شكله كخط قائم حاد، ومن خلفه يبدو جزء مستطيل من أرض شاطئ مرجاني ناصع البياض يغمره ضوء القمر، هو مطرز بأشجار الكاكاو التي تبزغ هاماتها بوضوح شديد فوق الأفق..

إلى اليمين يلوح برج المراقبة وفي منتصفه مدخل مفتوح يقود إلى جناح البحارة والوقادين كما يوجد على كل من جانبي المدخل بابان موصدان يؤديان إلى غرفة كل من رئيس البحارة ونجار السفينة وأمين مخزون

الطعـام والميكـانيكـي، أولئـك الـذين يطلـق علـيهم تـسمية المـوظفين الثانويين للسفينة..

كما يوجد إلى جوار كل من قائمي السارية أيضاً سلم الحريق الذي يفضي إلى سطح برج المراقبة الذي نستطيع أن نـرى حافتـه علـى الجانـب الأيمن، كما يشغل أغلب مساحة السطح المربع المرتفع الـذي يتـألف منـه بـاب الـشحن والتفريـغ رقـم واحـد في الوسـط الـذي يبـدو مغطـى بقمـاش أشرعة فرش لقضاء فترة الليل..

يسمع صوت أغنية من أغاني الزنوج يجرفها تيار الماء، إنها خافتة آتية من بعيد في الوقت الذي تمدد فيه أغلب البحارة والوقادين أو جلسوا على مرتفـع بـاب الـشحن بينمـا أسـتند " بـول " إلى الحـاجز الأيـسر وقـد ظهـر النصف الأعلى من جسمه بينمـا يجلس " سميتي وكـوكـي " علـى حافـة بـرج المراقبـة وقـد تـدلت سـاقاهما وأغلـبهم يـدخنون الغليـون والـسجائر، يرتـدي أغلـبهم سـترات مرقعـة مـن قمـاش قطـني خـشن وبعـضهم حفـاة والبعض الآخر لا يرتدون سراويل وقمصان داخلية على الأخـص الوقـادون كما أن الكثير منهم يرتدي أغطية للرأس، تنبعث أصوات متداخلة هـي علـى شـكل همهمـات منخفـضة تتكـون مـن أحاديـث مختلفـة يتبادلهـا أفـراد الجماعـات المتفرقـة ثـم يتبـع ذلـك صـمت مباغـت يـسمع مـن خلالـه وبوضوح الغناء الآتي من الشاطئ..

دريسكول: (يجلس الأيرلندي دريسكول على حافة باب الـشحن، متين الجسم، لهجته منفعلة لا تخلو من عدم رضـا) هـل تـسمعون أصوات هؤلاء الزنوج..؟! هـل يعتقـدون أن هـذا العويـل الـذي

يطلقونه هو الغناء..؟

سميتي: (شاب إنجليزي ذو شارب أشقر، يجلس على قمة برج المراقبة وهو ينظر إلى الماء متأملاً وقد أسند ذقنه إلى يديه) هذا الغناء لا يجعل الإنسان يشعر بالبهجة، أليس كذلك...؟ (ينهي كلماته ضجراً)

كوكي: (رجل قصير الهيئة يبدو كثور ذو شارب رمادي أشعث – يضرب سميتي على ظهره في حركة مزاح) أترك الحزن يا عزيزي، لا تكن مهموماً هكذا يا حضرة الدوق... إنها تحبك..

سميتي: (مكتئباً مع شيء من الغضب) أسكت يا كوكي. (يستدير مبتعداً عن كوكي ويستغرق من جديد في الأحلام والخيال وهو ينظر باتجاه تلك البقعة التي يأتي منها الغناء)

فرانك: (وقاد ضخم الجثة تمدد بجسده على يمين بوابة الشحن، وقد أخذ يلوح بيده نحو الشاطئ) إنهم يقومون بدفن شخص ما، وحق عيد الميلاد هذا ما أعتقده، غناؤهم يؤكد ذلك...

يانك: (رجل وسيم، فظ، هو يجلس إلى جوار دريسكول) ماذا تعني بقولك يدفنون، إنهم لا يدفنون الموتى هنا أيها الهولندي، بل يأكلونهم حتى يوفروا نفقات الجنازة،

أحسب أن ذلك الميت كان عليلاً فأصيبوا بعد الأكل بعسر الهضم..

كوكي: عسر هضم..! أوه نعم.. نعم.. ألا تدري أن هؤلاء الناس لهم معدتان كالجمال..

ديفز: (رجل أسمر قصير جالس على يمين باب الشحن) وأنت رأيت المعدتين أليس كذلك...؟

كوكي: (باحتقار) لا تظهر جهلك بمحاولة السخرية مني، لقد رأيت من الدنيا أكثر مما ستراه في حياتك..

ماكس: (سويدي يعمل وقاداً خلف باب الشحن) هذه حكاية ملفقة يا كوكي..

كوكي: أقسم، هذه هي الحقيقة، لقد سمعت هذه القصة من رجل أخذه الزنوج أسيراً في جزر سليمان، كنت قد رحلت معه ذات مرة، كانت تلك الرحلة متعة نادرة، سمعته يروي ما حدث له بينهم (يتوقف لحظة شارد الفكر) كان شخصاً غريباً حقاً، لقد أبحر من شاطئ مايل أيند، أجل إنه أبحر من هناك..

دريسكول: (شاخراً من أنفه) هانحن أمام كذاب آخر مثلك..!!

لامبس: (سويدي بدين يجلس على كرسي بلا مسند أمام باب قمرته يتحدث مع تشيبس) أين التقيت به يا كوكي..؟

تشيبس: (مقلداً) في غينيا الجديدة، أقسم على ذلك..

كوكي: (بتحد) نعم في غينيا الجديدة، عندما تحطمت بنا السفينة هناك (يثير هذا الكلام عاصفة من الضحك والسخرية لدى الجميع).

يانك: (ناهضاً) أنت تعرف ما قلناه، وما ستناله إذا عدت إلى قذفنا بأية كذبة من أكاذيبك المصنوعة في غينيا الجديدة، أقفل هذا الفم قبل أن يلقى بك في البحر من فوق حاجز السفينة..

كوكي: أووووه، كنت فقط أحاول تثقيفكم بعض الشيء..(ثم يستغرق في صمت يتسم بالكبرياء).

يانك: ألا تعرف أن هذه الجزر هي جزر الهند الغربية أيها الأحمق المجنون..؟! لا يوجد فيها آكلة لحوم البشر، فقط زنوج عاديون...!

دريسكول: (بغيظ) مهما كانوا فليأخذ الشيطان عويلهم..

يانك: (متجهماً) ماذا دهاك يا دريسكول..؟! إنك تغلي غضباً من أمر ما...؟

دريسكول: إني أموت لهفة إلى قطرة من الشراب، وقد أقسمت تلك البائعة الزنجية أن تحضر معها عندما تعود هذه الليلة خموراً تكفينا جميعاً.

فرانك: (وقد سمع هذا الكلام عرضاً، ينادي بصوت مرتفع لا يخلو من الحماسة) تقول إن المرأة الزنجية بائعة الخمور

ستجلب لنا شراباً..؟

دريسكول: (متهكماً) نعم.. انقل الخبر إلى القبطان العجوز وإلى نائبه أيضا (أفراد طاقم السفينة يتجمعون حول دريسكول ويحيطون به، إنهم يصغون إلى حديثه باهتمام وقد كبتوا انفعالاتهم، يخفض دريسكول صوته لدرجة كبيرة ويوجه حديثه إليهم جميعاً بطريقة مؤثرة) قالت الزنجية إن بإمكانها أن تهرب الخمور إلى ظهر السفينة بإخفائها في أسفل سلال الفاكهة التي ستحضرها مع النسوة لتبيعها إلينا..

توم: (العجوز الميكانيكي أشيب الرأس ذو وجه مجعد عليه سمات الطيبة، يجلس أمام باب قمرته على كرسي بلا مساند ومن النوع الذي يطوى ويحمل) وستأتي نساء زنجيات معها هذه المرة، إلا إذا كانت الأحوال قد تغيرت منذ أن رأيناها آخر مرة..

دريسكول: قالت إنها ستحضر، اثنتين أو ثلاثا أو ربما أكثر، لا أدري بالضبط (يتقبل الجميع هذا الخبر بحماسة كبيرة)

كوكي: يالها من امرأة رائعة...!

أولسون: والله سوف نقضي وقتاً كالجحيم..!

دريسكول: (محذراً) تذكروا، عليكم أن تلزموا الهدوء والحذر في هذا الشأن يا عديمي الفهم، بخصوص الشراب حتى لو

كان رئيس البحارة قد نزل إلى الشاطئ، لقد أمرها القبطان العجوز ألا تحضر أي شراب إلى ظهر السفينة وهددها بأنه سيمتنع عن شراء أي شيء منها مستقبلاً للسفينة.

بادي: (رجل بدين أيرلندي من مدينة ليفربول) فليذهب القبطان إلى الشيطان.

فرانك: (يلتفت إليه غاضباً محذراً) أسكت يا بادي، أيها المغفل البليد، هل تريد أن تجلب لنا المتاعب..؟ (ثم موجهاً كلامه إلى دريسكول) أنت وأنا يا دريسكول سنجعلهم يحافظون على الهدوء.

دريسكول: أنا موافق، أسمع أيها الهولندي، ثقوا أنني سأهشم جمجمة أول من يشرع منكم في الشجار (يسمع ناقوس يدق ثلاث دقات).

ديفز: اسمعوا هاهي ثلاث دقات جرس..! متى تحضر المرأة الزنجية يا دريسك..؟

دريسكول: ستكون هنا بين لحظة وأخرى، أنا متأكد من ذلك..(ثم إلى بول الذي عاد إلى مكانه بجوار الحاجز بعد أن سمع أنباء دريسكول) ألا ترى الزنجيات قادمات يا بول..؟

بول: لا أرى أي شيء، وخصوصاً كما تدعي شيئاً يشبه قارب التموين (الجميع في حالة انتظار وترقب، يشعلون الغلايين

والسجائر ثم يخلدون لحظات إلى الراحة يهيمن على ذلك الصمت صوت غناء الزنوج الحزين الآتي من الشاطئ).

سميتي: (ببطء وقد ظهر على وجهه علامات الكآبة) أتمنى لو أوقفوا تلك الأغنية، إنها تجعلني أتذكر أشياء يجدر بي أن أنساها، ما هذه الأمور الغريبة التي تجري هنا..؟

كوكي: (يضربه على ظهره مازحاً) ابتهج وتذكر أيها الحبيب العجوز، سنشرب الخمور بعد نصف دقيقة أيها الدوق (ينزل إلى السطح تاركاً سميتي وحده على سطح برج المراقبة).

فرانك: غن لنا شيئا يا دريسك... عن لنا حتى لا نسمع ذلك العويل..

دافيز: نعم غن....

بادي: من تلك التي نعرفها جميعاً..

ماكس: سنغني كلنا معاً.

أولسن: أغنية – ريوجراند...

فرانك: كلا، لا نعرف هذه الأغنية.. غن لنا ويسكي جوني..

تشيبس: السحابة الطائرة..

كوكي: كلا، غن لنا: فتاة من أمستردام.. غن يادريسك

لامبس: سانتا أنا أغنية جديدة..

دريسكول: أسكتوا جميعاً.. (باحتقار) أتريدون أغنية..؟ أراهن بأجر يوم كامل أنه ليس هناك بينكم سوى يانك أو أولي و أنا

وربما لامبس وكوكي من هم على دراية كافية بالملاحة حتى يستطيع أن يتبين البر من على سارية مركب شراعي، سمعتم أسماء الأغنيات ولكنكم لا تعرفون قط أية نغمة من النغمات أو سطر من الكلمات، إنه لأمر مؤسف حقاً لا نكاد نجد بحاراً أصيلاً يجوب البحار الآن.

يانك: غن لنا.. ألق بالرجل أرضاً.. كلنا يعرف مقاطع تلك الأغنية (تتصاعد أصوات الاستحسان والموافقة من الآخرين).

صوت أول: أجل..

صوت ثان: اختيار صحيح..

صوت ثالث: لنبدأ هذه الأغنية..

صوت رابع: ابدأها يا دريسك..

(تتداخل الأصوات ويصبح من الصعوبة فهم الكلمات)

دريسكول: هيا إذن، غنوا كلكم معي.. (يغني) بينما كنت أتجول في شارع الفردوس..

الجميع: (يغنون) واي، واي، اطرحوا الرجل أرضاً..

دريسكول: بينما كنت أتجول في شارع الفردوس..

الجميع: اعطنا بعض الوقت لنطرح الرجل أرضاً.

بول: (في اللحظة التي يستعد فيها دريسكول ليبدأ المقطع التالي) هاي درسك ! هاهي قادمة على ما اعتقد، ثمة

قارب يتجه نحونا (يندفع الجميع إلى جانب السفينة ويتطلعون نحو الشاطئ)

يانك: في القارب خمس أو ست منهن، يبدو ذلك من طريقة تجديفهن.

دريسكول: (بفرحة عنيفة) هورو يا قصار الذيل، إنهن بالفعل (يقوم ببعض الخطوات الراقصة السريعة على ظهر السفينة).

أولسون: (بعد فترة صمت ينشغل فيها الجميع بمراقبة القارب الذي يقترب من السفينة) إنني أرى ستة في القارب، أجل يا سيدي.

ديفز: إنني أتبين السلال، أنظر إليهن وسط القارب.

فرانك: وما نوع الخمر الذي أحضرنه معهن.. ويسكي..؟

دريسكول: صنف ممتاز، روم، معتق في جزر الهند الغربية، وله مذاق حاد يجعلك تشعر كما لو كان قد رفسك بغل بساقه الخلفية.

لامبس: ربما لا تحضر شيئا من الشراب، فقد يكون القبطان قد أخافها..

دريسكول: لا تثبط الهمم يا لامبس، سأسلخ جلدها الأسود إذا رجعت عن وعدها.

يانك: هاهن قادمات.. استمعوا إلى ضحكاتهن، (منادياً) أوه أيتها الصغيرات (تسمع أصوات نساء يتحدثن ويضحكن).

دريسكول: (منادياً) أهو أنت يا مسز جو، أيتها السوداء العجوز.

صوت امرأة: هالو مايك..(تثير هذه الإجابة ضحكات نسائية عالية).

دريسكول: حركي قدميك وأصعدي إلى السطح بخفة.

صوت امرأة: نحن قادمات.

دريسكول: هيا يا يانك..من الأفضل أن نذهب معاً لنعاونهن على حمل بضائعهن، هذا الفعل سيرفع من معنوياتهن.

كوكي: (بينما يتحركان من الجانب الأيسر) أوه، لا تكن ماكراً يا دريسك، لا تشرب كل الخمر قبل أن نراها.

دريسكول: (ملتفتاً إليه) ستحصل على نصيبك أيها الفتى المرح لا تخشَ شيئاً (يخرج هو ويانك من الجانب الأيسر).

كوكي: (يلعق شفتيه) أريد كأسا، لا يمكنني البقاء دون جرعة من الشراب.

دافيز: وأنا أيضاً.

تشيبس: أراهن أن ما من أحد فينا سيفرط في قطرة من الشراب.

فرانك: باستطاعتي أن أشرب برميلاً كاملاً وحق عيد الميلاد.

كوكي: أتمنى أن لا تكون الفتيات قبيحات مثلها، إنها تبدو لي مثل قرد طاحونة لعين، يا إلهي إني لا أستطيع أن أنسجم مع من كن على شاكلتها.

بادي: ستكون محظوظا إذا نظرت إليك إحداهن أيها القزم الأعور.

كوكي: (غاضباً) وأنت ليس ممن يضرب به المثل في الجمال، إني أسميك قرداً كثيف الشعر.

بادي: (يسير نحوه ويتحدث بشراسة) ما هذا الكلام، قله مرة ثانية إذا كنت تجرؤ.

كوكي: (مزمجراً وقد وضع يده على غمد السكين الكبيرة) قرد كثيف الشعر، هذا ما أقوله (يحاول بادي الإمساك به فيتدخل الآخرون لإبعادهما عن بعضهما).

فرانك: (يدفع بادي إلى الخلف) ماذا دهاك يا بادي ألم تسمع ما قاله دريسكول، من أن الشجار ممنوع..؟

بادي: (مزمجراً) أنا لا أقبل رداً من ذلك القزم القبيح ماسح سطح السفينة.

كوكي: أيها الوقاد القذر، يا سارق الفحم (يظهر دريسكول وقد اكتسى وجهه بابتسامة رضا، ينسى الجميع أمر الشجار ويحتشدون حوله وقد ندت منهم صيحات الشوق والفضول لمعرفة التفاصيل).

أصواتهم تنطلق متداخلة وسريعة..

- كيف الحال يادريسك..؟

- هل وفقت هذه المرة..؟

- ماذا جلبت معك...؟

- أين الفتيات..؟

دريسكول: (يلقي نظرة فيها من القلق الشيء الكثير نحو غرفة القبطان) لا ترفعوا أصواتكم بحق السماء (تهدأ الأصوات) نعم لقد أحضرت معها الخمور وستكون هنا في بحر دقيقة ومعها زجاجة أو زجاجتان لكل واحد منكم، ثمن الزجاجة ثلاثة شلنات، فلا يفرغ صبركم.

كوكي: (مستنكرا) ثلاثة شلنات ! يالها من خنزيرة لعينة..!

سميتي: (بابتسامة ساخرة) إنها لسرقة كبيرة واللّه (يلتفت الجميع إليه ويتطلعون في دهشة عندما يسمعونه يتحدث).

أولسون: بشرفي، لن ندفع كل هذا المبلغ..

فانك: هذه السوداء لصة سارقة.

بادي: سنأخذ ما جلبته ولن ندفع لها ولا بنساً واحداً.

دريسكول: (بابتسامة عريضة) في إمكانكم أن تقبلوا أو ترفضوا أيها الفتيان المرحون (يلقي نظرة في اتجاه مقصورة القبطان ثم يدس يده في قميصه ويخرج زجاجة خمر) إنه شراب روم ممتاز، أصلي (يشرب من الزجاجة) لقد سحبتها من إحدى السلال عندما كن معرضات عني (يعطي الزجاجة إلى أولسون الذي كان أقربهم إليه) هاك الزجاجة يا أولي، خذ منها رشفة صغيرة ومررها إلى من بعدك، أنها لا تحتوي شراباً كثيراً، لكن بها ما يكفي لإزالة المذاق المر من أفواهكم إذا ترفقتم بها عندما تشربون، وهناك

كميات كبيرة آتية من هذا الشراب (تمر الزجاجة من يد إلى يد أخرى، كل رجل منهم يرتشف منها ويطلق آهة عميقة تعبيراً عن الرضا والاستحسان)

دايفز: أين هي الآن يا دريسك..؟

دريسكول: تتحدث مع القبطان، وعلى ما أعتقد إنها تتفق معه على طريقة الدفع.

دايفز: وأين الفتيات الأخريات..؟

دريسكول: هناك خمس منهن أخذتهن معها إلى فوق، اثنتان حلوتان رشيقتان لون بشرتهما أبيض كلون بشرتي وبشرتك، وهما لذلك الأحمق العجوز أشيب الفودين ولمساعديه، وربما للمهندسين أيضاً، أما بقيتهن فسيحضرن معها عندما تحضر.

كوكي: ذلك القبطان العجوز، لعنة الله عليه، إنه لعصفور مضحك، أتذكرون يوم أبحرنا من أرض الوطن كيف وقف على القنطرة مثل قسيس عجوز، وكانت زوجته على الرصيف تكاد تموت من البكاء عليه ! وأولاده يبكون ويلوحون بمناديلهم..! (بغضب شديد لتدهور أخلاق القبطان) وهاهو الآن يراود زنجية لعينة، هاهو قبطانكم لعنة الله على ذلك العجوز الخسيس، إني أسميه، الحيوان الفظيع.

دريسكول: اسكت أيها الحشرة..! بالتأكيد لست أنت ممن يجدر بهم الحديث عن هذا ، وأنت الذي له في كل ميناء في هذا العالم الرحيب زوجة وأولاد يبكون عليك، هذا إذا صدقنا قصصك النتنة..!

كوكي: (لا يزال غاضباً مغتاظاً) أنا لست قبطاناً ولست متزوجاً زواجاً شرعياً ، ولست...

فرانك: (يضع كفه الضخم على فم كوكي) لن أسمح لك بالاسترسال في هذه الثرثرة، هل سمعت..؟ (يتخلص كوكي من قبضته ويبتعد عنه) قل لي يادريسك كيف سندفع ثمن زجاجات الخمر لهذه المرأة..؟ ليس معنا نقود..

دريسكول: هذا أمر بسيط للغاية، كل فتاة سيكون معها قصاصة ورق وعندما تشتري منها شيئاً أكتب ما اشتريت ودون الثمن على تلك الورقة ووقع بإمضائك، و إذا كنت لا تعرف الكتابة اجعل أحداً آخر ينوب عنك وتذكروا هذا عندما تشترون زجاجة خمر (يغمز بعينيه) أو أي شيء من الممنوعات، عليكم أن تكتبوا أنكم اشتريتم تبغا أو فاكهة أو أي شيء من هذا القبيل، وعندما تتصرف الفتاة سيدفع لها القبطان ما هو مدون على قصاصات الورق ويخصمه من أجركم، هل الأمر واضح الآن..؟

((تتصاعد أصوات بشكل متداخل))

- أجل يا دريسك..

- هذا الكلام واضح كالنهار.

- حسن يا دريسك.

- نعم موافقون.

- هذا إجراء صحيح.

دريسكول: ولا تنسوا التزام الهدوء عندما تشربون وإلا أطبق نائب القبطان على أعناقكم وأفسد متعتنا (تتصاعد همهمة جماعية بالموافقة).

دايفز: (متطلعاً نحو مؤخرة السفينة) ألسن الفتيات هؤلاء القادمات..؟(ينظر الجميع في ذلك الاتجاه تسمع ضحكات نسائية خرقاء).

دريسكول: انظروا إلى يانك معهن، انظروا كيف لف ذراعه حول خصر إحداهن، يانك لا يضيع أي وقت سدى (تدخل النساء الأربع من الجانب الأيسر، يضحكن ضحكات مكتومة ويتهامسن، الثلاث الأوليات يحملن سلالاً على رؤوسهن، وتأتي في المؤخرة أصغرهن سناً وأحسنهن مظهراً، وقد لف يانك ذراعه على خصرها ويحمل سلتها في يده، تبدو سمات الزنوج على ملامح النسوة الأربع، إنهن يرتدين ثياباً ذات ألوان زاهية وفضفاضة ويعصبن رؤوسهن بمناديل لامعة ذات نقاط صفراء وبيضاء، يضعن سلالهن

على الأرض فوق باب الشحن ويجلسن إلى جوارها ، يتجمع الرجال حولهن وعلى وجوههم ابتسامات عريضة).

بيللا : (أكبرهن سناً وأضخمهن وأقلهن جمالاً – ترد على ابتساماتهم بابتسامات عريضة) هالو ، أيها الفتيان..

(تتداخل أصوات النساء والرجال وهم يتبادلون التحيات والتي تبدو كالبرق)

- مرحبا..
- مساء الخير
- هالو
- كيف حالكن

بيللا : (بلطف) أرجو أن تكونوا قد قمتم برحلة طيبة ، أنا اسمي بيللا ، وهذه سوزي وتلك فيوليت ، وتلك التي هناك (مشيرة إلى الفتاة التي مع يانك) بيرل ، والآن نحن جميعا نعرف بعضنا بعضا.

بادي: (بخشونة) لا تعنينا الفتيات.. أين الشراب..؟

بيللا : (بحدة) أنت خنزير.. أليس كذلك..؟ لا تتحدث بهذا الصوت المرتفع هكذا ، وإلا لن تحصل على شيء لا أنت ولا أي من الرجال ، أتعتقد أنني أريد أن يطردني القبطان من السفينة ، هل تعتقد ذلك..؟

يانك: أجل ، حذار من الصياح ، أنت يا هذا أتريد أن تفسد الأمر

علينا جميعا.

بيللا: (تلقي نظرة سريعة خلفها) والآن.. ليجلس بعض الفتيان من ذوي الأجسام الضخمة والعضلات المفتولة على باب الشحن هناك، حتى لا يرى أولئك الضباط ما نفعل (يذهب دريسكول وعدد آخر من الرجال إلى الجلوس والوقوف خلف الفتيات على باب الشحن، تلتفت بيللا إلى دريسكول) هل أخبرتهم بضرورة التوقيع على بيان مشترياتهم، وكيف يوقعون..؟

دريسكول: نعم أخبرتهم، ما أسمك مرة أخرى، أوه، أجل تذكرت، بيللا.. عزيزتي.. بيللا..

بيللا: هكذا كل شيء على ما يرام، لكن على كل فتى منكم أن يدخل غرفة المراقبة عندما يحصل على زجاجته، فالشراب ممنوع هنا على سطح السفينة، فلست على استعداد للمجازفة (تتصاعد همهمة تنم عن الموافقة من الجميع ممزوجة بشيء من اللهفة) ألست محقة فيما أقول.. يا مايك...؟

دريسكول: محقة تماما يا عزيزتي (ينحني فرانك عليه ويهمس له بشيء، يضحك دريسكول ويضربه على ردفه بيده) أسمعي يابيللا.. أريد أن أسألك سؤالا بالنيابة عن صديقي الصغير الخجول هذا أنه أمر يتعلق بالفتيات، لهذا يحسن أن أهمس به إليك منعا للخجل.. (ينحني عليها ويلقي عليها سؤالا)

بيللا: (بحزم قاطع) أربعة شلنات...

دريسكول: (ضاحكا) هل سمعتم جميعاً، أربعة شلنات..

بادي: (غاضباً) ليذهب هذا السؤال إلى الجحيم، أريد شراباً...

بيللا: هل كل شيء على ما يرام يا مايك..؟

دريسكول: (بعد أن ينظر إلى مقصورة القبطان) بالتأكيد... هيا...

بيللا: هيا يا فتيات...(تدس كل فتاة يدها في سلتها تحت الفاكهة التي على سطح السلة وتسحب كل منهن زجاجة خمر يتزاحم أربعة رجال ويأخذون الزجاجات) أحضر ضوءاً يالامبس، أيها الفتى المحبوب..(يذهب لا مبس إلى غرفته ويعود بشمعة وتمر هذه من فتاة إلى أخرى بينما يوقع الرجال على قصاصات الورق مقابل الزجاجات التي أخذوها) لا تنسوا أيها الفتيان أن تكتبوا أنكم اشتريتم سجائر أو تبغا أو فاكهة، تذكروا هذا الثمن، ثلاثة شلنات، خذوا الزجاجات إلى جناحكم، بالله لا تقفوا هنا وتشربوا في ضوء القمر (يمضي الأربعة إلى جناحهم ويحتشد أربعة آخرون محلهم، يتسمر بادي واقفاً أمام بيرل التي كانت تجلس مع يانك الذي وضع ذراعه حول خصرها).

بادي: (بخشونة) أعطني تلك.. (تناوله زجاجة فينتزعها من يدها، ويستدير منصرفاً)

يانك: (بحدة) على مهلك يا صاحبي من أين لك هذه الزجاجة، إنك لم توقع بشرائها بعد.

بادي: (ببلادة) لا أعرف أن أكتب اسمي..

يانك: إذن سأكتبه بالنيابة عنك (يأخذ قصاصة الورق من بيرل ويكتب) لا أسمح لأي أحد منكم بأية ألاعيب على هذه الصغيرة ذات العينين الجميلتين وحتى لو كنت غير موجود بقربها أفهمتم..؟ ألست على حق في هذا التصرف يا صغيرتي...؟

بيرل: (بابتسامة) أجل، بكل تأكيد يا يانك...

بيللا: (تتأكد من أن الأربعة قد حصلوا على طلباتهم) خذوها إلى جناحكم أيها الفتيان (يرفع بادي زجاجته ويشرب متحدياً.. تراه بيللا) انظروا إلى ذلك الخنزير القذر..! (يسير بادي نحو جناح البحارة متمهلاً) يريد أن يجلب لي المتاعب لقد انتهى هذا الأمر..! يجدر بنا أن نمضي جميعا إلى الداخل يا فتيان، حيث نكون في مأمن من أن نضبط، هيا يا فتيات...

(الفتيات يجمعن سلالهن ويتبعن بيللا، يانك و بيرل هما آخر من يبلغ المدخل، تتمهل بيرل متخلفة عن يانك وقد تركزت عيناها على سميتي الذي لا يزال يجلس على قمة جناح البحارة مسنداً ذقنه إلى يديه محملقاً في الفضاء).

بيرل: (تلوح بيدها له لكي تسترعي انتباهه) أدخل أيتها الفتى الجميل.. إنك تروق لي..

سميتي: (ببرود) نعم، أريد أن أشتري زجاجة من فضلك (ينزل الدرجات ويتبعها إلى جناح البحارة، لا يبقى أحد على سطح السفينة إلا الميكانيكي الذي يجلس ويدخن غليونه أمام بابه، تصل همهمات غير واضحة من الجمع المحتشد في الداخل، لكن النغم الحزين الآتي من الشاطئ يصل إلى الأسماع في خفوت من جديد، يظهر سميتي مرة أخرى ويغلق باب جناح البحارة من خلفه، ويرتعد ويهز كتفيه كما لو كان يرى شيئاً تقزز منه، ثم يرفع الزجاجة التي في يده إلى شفتيه ويجرع منها جرعة طويلة، الميكانيكي يراقبه وقد تأثر لحاله، يجلس سميتي على باب الشحن، الآن تم قفل باب جناح البحارة يكاد يصل بكل وضوح الغناء الآتي من الشاطئ عبر الماء الذي يسطع عليه ضوء القمر).

سميتي: (يصغي للأغنية برهة من الزمن) لعنة الله على أغنيتهم هذه (يأخذ جرعة كبيرة أخرى) ما رأيك أيها الأخ...؟

الميكانيكي: (في هدوء) إنها لطيفة وتجلب النعاس..

سميتي: (بضحكة جافة) تجلب النعاس إذا أصغيت لها مدة طويلة، وأنا في كامل وعيي فلن أنام أبداً.

الميكانيكي: إنها ليست موسيقى رديئة إلى هذا الحد..اليس كذلك..؟
تبدو لي لطيفة ورقيقة، خفيفة وحزينة، كأنك تستمع إلى الأرغن خارج الكنيسة في يوم الأحد..

سميتي: (بحركة تنم عن الضجر والحزن) لم أكن أعني أنها موسيقى رديئة، إنها ليست كذلك، إن المسألة تتعلق بالذكريات المؤلمة التي تثيرها في النفس، لسبب ما (يأخذ جرعة أخرى).

الميكانيكي: هل سمعت هذه الموسيقى من قبل..؟

سميتي: كلا، لم أسمعها في حياتي قط، السيئ في الأمر أنه شيء في هذه الأغنية يجعلني أفكر، حسن، أوه.. يا للشيطان (يحمل نفسه على الضحك بصعوبة).

الميكانيكي: (يبصق في هدوء) الذكريات شيء غريب، ما كانت تضايقني أبداً.

سميتي: (ينظر إليه بنظرة ثابتة لحظة، ثم باحتقار هادئ) كلا، ما كان يمكن أن تضايقك..

الميكانيكي: ليس أعني لم يكن لي نصيب من المتاعب، بل لأني أطردها من عقلي وأنساها..

سميتي: لكن لنفرض أنك ما كنت قادراً على أن تطردها من عقلك..؟ لنفرض أنها تظل تطاردك في صحوك ومنامك، ماذا كنت تفعل...؟

الميكانيكي: (في هدوء) كنت أسكر، كما تفعل أنت الآن..

سميتي: (بضحكة مفتعلة) نصيحة طيبة (يأخذ جرعة أخرى من الزجاجة، يبدأ تأثير الشراب عليه، تصبح لهجته تميل إلى الانفعال) نحن حملان صغيرة مسكينة قد ظلت طريقها.. أليس كذلك..؟ أيها الميكانيكي، نحن ملعونون في الدنيا والآخرة أليس كذلك..؟ فليرحم الله أمثالنا.. أليس كذلك أيها الميكانيكي..؟

الميكانيكي: ربما، لست أدري (بعد فترة صمت بسيطة) ما الذي جعلك تركب البحر.. أنت لم تخلق له..

سميتي: (يضحك بجنون) نديمي القديم في الشراب، أيها الأخ العزيز..!

الميكانيكي: أخذت نصيبي من الشراب عندما كنت شاباً (بحسرة) لقد كانت أياماً جميلة، آه على تلك الأيام ما عدت الآن أقوى على الشراب، قال لي الطبيب أن علي أن أكف عن الشراب أو ألقى حتفي (يبصق راضيا) وهكذا قررت الإقلاع عن الشراب.

سميتي: (يضحك بجنون) إذن سأشرب نخبك، في صحتك أيها التائب العجوز (يشرب).

الميكانيكي: (بعد برهة صمت) أعتقد أن ثمة فتاة تختلط بذكرياتك أليس كذلك..؟

سميتي: (بجفاء) ما الذي يجعلك تظن ذلك...؟

الميكانيكي: هذا ما يحدث دائما عندما يدع الإنسان الموسيقى تقض مضجعه (بعد أن يدخن غليونه) قالت إنها هجرتك لأنك سكير، ثم قلت أنك تدمن الخمر لأنها هجرتك (يبصق على مهل) الحب شيء غريب، أليس كذلك..؟

سميتي: (ينهض واقفاً على قدميه مخموراً لكنه يتظاهر بالوقار والتوازن) لم أطلب منك أن تدس أنفك في شئوني، أيها الميكانيكي.

الميكانيكي: (دون اهتمام أو تأثر) ما قلته يحدث للجميع، حدث لي أنا شخصياً أكثر من مرة (بمرح طبيعي) كنت دائماً أوجه للواحدة منهن صفعة قوية على الأذن ثم أخرج لأغرق نفسي في الشراب، وعندما أعود إلى منزلي أجد طبقاً خاصاً طيباً من الطعام قد أعد لي (يدخن غليونه) هذه هي الطريقة الوحيدة لإعادة المرأة إلى صوابها إذا ما فكرت في الغرور، لا أعتقد أنك حاولت ذلك.

سميتي: (بأنفة وترفع) إن الرجال المهذبين لا يضربون النساء.

الميكانيكي: (في هدوء) كلا، ولهذا يسترجعون الذكريات عندما يسمعون الموسيقى (سميتي لا يكترث بالإجابة على هذا، ولكنه يستغرق في صمت مع نظرات احتقار، يخرج دايفز والفتاة فيوليت من جناح البحارة ويغلق الباب وراءهما،

دايفز يترنح بعض الشيء بينما فيوليت تضحك ضحكة عالية).

دايفز: (مستديراً إلى اليسار) من هذا الطريق، يا وردة أو ياسمينه آه أيتها الزنبقة السوداء أو أية زهرة سميت بها، لن يرانا أحد هنا (يمضيان يساراً ويغيبان عن الأنظار)

الميكانيكي: هاك، حب من أول نظرة، وهناك الكثير من هذا في جناح البحارة، ولا يرتبط به أي ذكريات..

سميتي: (وقد شعر بنفور شديد) اسكت أيها الميكانيكي، أنت تثير التقزز (يأخذ رشفة طويلة من الشراب).

الميكانيكي: (يتحدث بطريقة فلسفية) كل شيء يتوقف على الطريقة التي نشأت عليها، على ما أظن (تأتي بيرل خارجة من جناح البحارة، وتصل عاصفة من الأصوات من الداخل، تغلق الباب خلفها وترى سميتي على باب الشحن فتمضي إليه وتجلس بجواره واضعة ذراعها على كتفه).

الميكانيكي: (يضحك ضحكة مكتومة) هاهو الحب قد جاءك أيها الدوق..

بيرل: (تربت بيدها على وجه سميتي) مرحبا أيها الفتى الوسيم (يدفع سميتي يدها عن وجهه بعيدا وبفتور) ما الذي تفعله هنا وحدك...؟

سميتي: (بابتسامة مشوهة باهتة) أفكر.. و.. (يشير إلى الزجاجة

التي في يده) أشرب حتى أوقف التفكير (يضحك نشوان وقد أفرغ ثلاثة أرباع الزجاجة).

بيرل: لا ينبغي أن تفرط في الشراب، أيها الفتى الوسيم ألا تعرف ذلك..؟ الصداع الكبير سيدور في رأسك ويملؤه بأصوات كالطنين.!

سيمتي: (بجفاء) حقاً..

بيرل: فعلاً، إنني واثقة مما أقوله (في تودد) لماذا تهرب مني أيها الفتى الوسيم..؟ إني أميل إليك ولا أميل إلى الفتيان الآخرين، إنهم يتصرفون بخشونة مفرطة، أما أنت فلست منهم كما اعتقد، أنت رجل مهذب، أنا أعرف ذلك باستطاعتي أن أميز الرجل المهذب عندما أراه.

سميتي: شكرا لك على هذا المديح،ولكنك مخطئة، أنا مجرد سكير(ثم يضيف بمرارة كبيرة) وإنسان تافه لا فائدة منه

بيرل: (تربت على ذراعه) كلا، لست كما تقول، أنت رجل مهذب (بنبرة فيها إغراء فاضح) لا أريد أن يكون لي شأن مع الرجال الآخرين، لكن (تبتسم إليه مرة أخرى بذات الإغراء المقصود) الأمر معك مختلف (يدفعها بعيداً عنه باشمئزاز فتتجهم) ألا تريدني أيها الفتى الوسيم..؟

سميتي: (خجلاً بعض الشيء) معذرة، إنني لم أقصد أن أكون فظاً معك، كما تعلمين (يبدو هذا الأدب مبالغاً فيه من

تأثير الشراب) أدرك أنني خرجت عن طوري بعض الشيء..!

بيرل: (مبتهجة وبمرح) إذن تميل إلي – بعض الشيء..؟

سميتي: (بلا اكتراث) أجل، أجل، لم لا أميل إليك..؟ (فجأة يضحك في عنف ويحيط خصر بيرل ويضمها إليه) لم لا..؟ (يسحب ذراعه بسرعة وقد انتابته رعشة من الاشمئزاز – يجرع جرعة أخرى من الشراب على عجل، تنظر إليه بيرل باستغراب وقد حيرتها تصرفاته الغريبة، يفتح الباب المؤدي إلى مقصورة البحارة بركلة من قدم ويخرج على أثرها يانك، يزداد ضجيج الأصوات التي هي مزيج من الغناء والصيحات القوية والضحكات يترنح يانك وهو يتقدم نحو سميتي وبيرل).

يانك: ما هذا، وحق الجحيم، أوه، إنه، أنت أيها الدوق سميتي، كنت سأوجه ضربة إلى فك أي رجل يأخذ فتاتي، لكن ما دمت أراك أنت (بنبرة عاطفية) عندي الصداقة هي الصداقة، وأي صديق لي يمكنه أن يأخذ ما هو لي، أفهمت..؟(ماداً يده) لنتصافح أيها الدوق (يأخذ سميتي يده ويهزها مصافحاً) نحن صديقان ألست محقاً في هذا...؟

سميتي: أنت على حق في هذا الكلام، لكنك مخطئ بخصوص

هذه الفتاة، إنها ليست صحبتي كانت في طريقها عائدة إلى مقصورة البحارة، إليك بها (تنظر إليه بيرل وقد تجمعت الكراهية في عينيها).

يانك: أهذا صحيح...؟

سميتي: أقسم لك...

يانك: (يمسك ذراعها بشدة) إذن هيا يا بيرل فلنتناول كأساً من الشراب مع الآخرين (يجذبها إلى المدخل، بيرل تنفض ذراعه عنها بالقدر الذي يسمح لها أن تستدير راجعة إلى سميتي ثائرة في وجهه).

بيرل: أيها الخنزير فلتذهب إلى الجحيم (تدخل جناح البحارة وتغلق الباب وراءها بعنف).

الميكانيكي: (يبصق بهدوء) ها أنت ترى صورة الحب، كلهن سواء البيضاء والسمراء والصفراء والسوداء، ليس سوى ضربة شديدة على الأذن هي السبيل الوحيد لتأديبهن (لا يجيب سميتي بشيء بل يضحك بخشونة، ثم يتناول جرعة أخرى من الشراب، بعدها يجلس محدقاً فيما أمامه وقد أطبقت قبضته على زجاجة الخمر التي كادت أن تفرغ، يتزايد صوت الصخب المكتوم الوافد من مقصورة البحارة، ثم بعد برهة يفتح الباب بعنف وتتدفق مجموعة السكارى بقيادة دريسكول وهم يحتلون المساحة الخالية

فوق ظهر السفينة، كلهم يحملون زجاجات الخمر في أيديهم، بينما بيللا هي الوحيدة التي في وعيها تماماً، تحاول جاهدة أن تجعل الجميع يلتزمون الهدوء، تشرب بيرل من زجاجة يانك بين لحظة وأخرى وهي تطلق ضحكة مدوية وتستند إلى يانك الذي يحيط خصرها بذراعه، يخرج بول آخر المجموعة يحمل أوركوديون يترنح ويقف على قمة باب الشحن والآلة الموسيقية تحت إبطه).

دريسكول: أعزف لنا أغنية راقصة أيها الاسكندنافي القذر، أغنية من مكان بعيد، أريدها حقيقية مباركة من ألحان " التيركي توت " موسيقى مفعمة بالحيوية.

يانك: أغنية من ساحل البرابرة العتيق في فريسكو.

بول: لا أعرف سأحاول (يشرع في العزف).

يانك: هيا أيتها الفتى، ليكن عزفك أكثر حماسة (يعود دايفز وفيوليت وينضمان إلى الجماعة، ينظر الميكانيكي إليهم بنظرة فيها شيء من التسامح، يحملق سميتي أمامه غير مدرك بأن هناك أناساً غيره على ظهر السفينة).

فرانك: أغنية راقصة، إنني لا أرقص، إنني أشرب فقط (يقرن القول بالفعل ويزمجر بضحكة خالية من المعنى).

دريسكول: إذن أبتعد عن الطريق أيها الرجل البدين وأفسح لنا المكان (يجلس فرانك على باب الشحن يميناً ويحذو كل

الآخرين حذوه أو يتكئون إلى حاجز السفينة الأيسر).

بيللا: (على وشك البكاء لعجزها عن احتجازهم في مقصورتهم أو حملهم على التزام الهدوء وقد خرجوا إلى سطح السفينة يثيرون الفوضى) وحق الإله، أيها الفتيان، لا تصيحوا هكذا بهذا الصوت الجهوري، أتريدون أن تسببوا لي المتاعب.

دريسكول: (جاذبا إياها بشدة) أرقصي معي، هيا يا مليكتي الزنجية (يسقط أحدهم زجاجة على الأرض فتتحطم وتحدث صوتاً عالياً)

بيللا: (بطريقة هستيرية) هاهم قادمون، هاهم قادمون، سيسمع القبطان هذا الضجيج ! أوه ياآلهي..!

دريسكول: عليه اللعنة، هاقد بدأت الموسيقى، هيا إلى الأمام (يشرع بول في عزف لحن أنت أيتها الدمية الجميلة الكبيرة العظيمة، مسقطاً نغمة من نغماتها من وقت لآخر، يبدأ الأزواج الأربعة في الرقص ويؤدون الرقصة بهزة من الكتف على النحو المألوف في تأدية رقصة " التيركي تروت " تلك الرقصة القديمة والمشهورة جداً في حانات المدن التي يؤمها البحارة، وقد زاد من طابعها المضحك أن أزواج الراقصين كلهم قد لعبت الخمر بعقولهم وصاروا يتخبطون ببعضهم البعض طوال الوقت، ويشرع اثنان من

الرجال في الرقص سوياً، يتعمدان الاصطدام بالآخرين، يأتي بيرل و يانك ويمران من أمام سميتي، وفي لحظة مرورهما به تصفعه بيرل على صدغه بكل قوتها وتطلق ضحكة فاجرة، ينهض واقفاً على قدميه وقد أطبق قبضتيه لكنه عندما يرى من صفعه يعاود الجلوس وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة، بينما يضحك يانك ضحكة صاخبة).

يانك: إنها ضربة شديدة ! لقد هوت عليك أيها الدوق.

دريسكول: (مطوحاً بقبعته إلى بول) زد سرعة الموسيقى أيها الضفدع (يبذل بول جهداً جنونياً ليسرع في العزف ولكن الموسيقى تتأثر من هذا الإجراء).

بيللا: (لاهثة) دعني وشأني، لقد أجهدتني بدوسك على قدمي، أبتعد عني أيها الأيرلندي الغبي (تحاول الإفلات جاهدة من قبضته ولكن دريسكول يظل ممسكا بها بشدة).

دريسكول: لعنة الله عليك، فأنت ذات قدم ضخمة، أسكتي وخذي الأمر ببساطة يا مسز جو الزنجية العجوز ! هذا الرقص سيجعلك تتصببين عرقاً (يدور بها دورات سريعة على ظهر السفينة رغماً عنها، وكوكي يراقص سوزي على مقربة من باب الشحن، إلى اليمين فيمد باري الذي يجلس على الحافة مع فرانك، يمد ساقاً فيتعثر بها

الراقـصان ويـسقطان أرضـاً، تتـصاعد عاصـفة مـن الضحك، ينهض كوكي واقفاً على قدميه وقد أحتقن وجهه غضباً، ويثب على بادي الذي يلكمه على الفور لكمة قاضية، يضرب دريسكول بادي ويضرب فرانك دريسكول، في غمضة عين ينشب عراك شامل، ويمتلئ سطح السفينة بجمع من الرجال الذين أطاح بهم السكر وفقدوا بذلك صوابهم، يضربون بعضهم البعض دون تمييز، وإن كان مؤشر الأحداث يشير إلى أن ما يحدث هو معركة بين البحارة والوقادين، يعلو صراخ النسوة وصياحهن ويلجأن مذعورات إلى باب الشحن المرتفع حيث يتجمعن عليه وقد استبد بهن الذعر، وفي النهاية تلمع ومضة سكين طويلة أشهرت عاليا في ضوء القمر وعلى أثر ذلك تنبعث صرخة ألم).

دايفز: (في مكان ما وسط الجمع) هاهو نائب القبطان آت، فلنخرج من هنا (يهرول الجميع إلى مقصور اتهم وفي برهة من الزمن لم يتبق أحد على باب الشحن وسميتي لا يزال يحك صدغه في ذهول، بينما الميكانيكي يجلس على مقعده يدخن غليونه في هدوء أما يانك ودريسكول فقد بدت أثار المعركة على وجهيهما بشكل واضح ومن علائمهما تمزق قميصاهما إرباً إرباً، وقد انحنيا على جثة بادي المسجاة بينهما على سطح السفينة بلا حراك، وفي

هذا السكون تزحف إلى السفينة في بطء صوت الأغنية الحزينة الآتية من الشاطئ).

دريسكول: (بسرعة وبصوت منخفض) من الذي طعنه بالسكين..؟

يانك: (ببلادة وذهول شديدين) لم أر أحداً، لم أشاهد شيئاً، كيف لي أن أعرف، إنه كوكي، أراهن على ذلك (يدخل النائب الأول للقبطان من جهة اليسار، إنه رجل طويل قوي الجسم، يرتدي سترة زرقاء من ملابس البحارة).

نائب القبطان: (في غضب شديد) ما هذا الصخب الشديد..؟ (ينتبه لبادي المسجى على الأرض) هالو.. ما هذا..؟ (يثني ركبته ويجلس راكعاً إلى جوار بادي)

دريسكول: (متلعثماً بخوف واضح) كلنا – كنا في شجار لا ضرر منه، يا سيدي ولا أدري (يقلب نائب القبطان بادي على وجهه فيرى جرحاً نازفاً في كتفه جراء طعنة السكين الكبيرة)

نائب القبطان: لقد طعن بسكين كبيرة، والله (يخرج مصباحاً يعمل على البطارية من جيبه ويتفحص الجرح) من حسن حظه أنه جرح سطحي، لا بد أن رأسه قد ارتطمت بالأرض عندما وقع، وهذا هو ما أفقده وعيه، هذا مجرد خدش، خذه إلى مؤخرة السفينة وسأضمد له جرحه..

دريسكول: سمعاً وطاعة يا سيدي (دريسكول و يانك يحملان بادي

من كتفيه وقدميه، ويخرجان به من اليسار، نائب القبطان يرفع نظره لأول مرة فيرى النسوة على باب الشحن)

نائب القبطان: (مندهشا) هالو.. (يسير نحوهن) اذهبن إلى غرفة القبطان اصرفن نقودكن و انصرفن، لو كان الأمر بيدي لما سمحت لكن أبداً (تصطدم قدمه بزجاجة فينحني ويلتقطها ويقربها من أنفه) يا إلهي، إنه شراب الروم، إذن هذا هو سبب المتاعب، لقد خيل إلي بأن رائحتهم غريبة جداً (موجهاً كلامه بشكل قاس للنسوة) لا داعي للذهاب إلى القبطان من أجل أي نقود، لن يصرف لكن أي شيء، إن هذا الدرس لكن حتى لا تهربن الخمور إلى السفينة وتساهمن في إثارة الشغب.

بيللا: لكن يا سيدي...

نائب القبطان: (بخشونة أشد) تعرفن الاتفاق، خمور – لا نقود..

بيللا: (بغيظ وحنق) والله يا سيدي، لم أحضر شيئاً من..

نائب القبطان: (بعنف) أنت كذابة.. لا أريد أن أسمع كلمة أخرى منكن، اغربن عن السفينة بسرعة، الأخريات في انتظاركن، هيا اقفزن، هيا (يتحركن مسرعات، ويخرجن من جهة اليسار، يمضي نائب القبطان في أعقابهن ويومئ برأسه إلى الميكانيكي ويتجاهل سميتي

الذي يبدو شارد الذهن، يطبق صمت ثقيل على السفينة لمدة وجيزة وتتجرف أغنية الزنوج الحزينة بنغم خافت مع تيار الماء، يصغي سميتي إليها بانتباه بعض الوقت ثم يتنهد بحرقة كما لو كان يبكي).

سميتي: يا إلهي (يشرب آخر قطرة من الزجاجة ويلقي بها وراءه على المرتفع).

الميكانيكي: (يبصق في هدوء) ذكريات أخرى..؟

(سميتي لا يجيبه، يدق جرس السفينة أربع دقات (يفرغ الميكانيكي غليونه).

الميكانيكي: أعتقد أنه آن لي الآن أن أدخل وأستلقي في فراشي (يفتح الباب المؤدي إلى غرفته، لكنه يلتفت لينظر إلى سميتي بعطف ملحوظ) لن يتسنى لك سماعها في جناح البحارة، أقصد الموسيقى، وربما يكون هناك المزيد من الشراب، طابت ليلتك (يدخل غرفته ويغلق الباب).

سميتي: طابت ليلتك أيها الميكانيكي (ينهض واقفاً على قدميه ضجراً ويمضي مترنحاً محني المنكبين إلى جناح البحارة ويدخل، يخيم الصمت ثانية أو لبضع ثوان ولا يقطعه إلا صوت تلك الموسيقى الحزينة الرتيبة في طول إيقاعها آتية من بعيد، كما لو كان ذلك الجو الحزين يثيره ضوء القمر).

القرد كثيف الشعر

بعد ظهور مسرحيتي " القرد كثيف الشعر " و " الإمبراطور جونز " وصف النقاد اوجين بأنه فنان تعبيري لأن المسرحيتين تشبهان الطريقة التي كتبت بها مسرحيات " تولر وهيزنكليفر وكايزر " وغيرهم من الذين ظهروا في ألمانيا وادعوا إنتاج مسرحيات ذات صبغة تعبيرية، ويروي الناقد الأمريكي " باريت كلارك " في كتابه الموسوم " اوجين أونيل – دراسة في حياته وأدبه المسرحي " أن أونيل رد على سؤاله المتعلق بتأثره الواضح بتلك التطورات الدرامية الحديثة التي بدأت تغزو مسارح أوروبا، وعما إذا حاول الاستفادة عن وعي من الطرق التي يتبعها كايزر وبقية الكتاب المسرحيين آنذاك، وكان جواب أونيل: " إن أول مسرحية

تعبيرية رأيتها هي مسرحية كايزر وكانت بعنوان " من الصباح حتى منتصف الليل وقد أنتجت في نيويورك عام ١٩٢٢ بعد أن أتممت كتابة مسرحيتي – الإمبراطور جونز – وكذلك – القرد كثيف الشعر – وكنت قد قرأت مسرحية – من الصباح حتى منتصف الليل قبل أن أكتب مسرحيتي – القرد كثيف الشعر – لكن ليس قبل أن أتم التخطيط للمسرحية وفكرتها ، والنقطة هي أن القرد كثيف الشعر تنحدر مباشرة من صلب فكرة الإمبراطور جونز، التي كتبتها منذ زمن بعيد وقبل أن أسمع بالتعبيرية ، وشكلها لا يحتاج إلى شرح أكثر من هذا". ويضيف الكاتب أيضا : "في الحقيقة أنني لم أفكر كثيراً بمسرحية "من الصباح حتى منتصف الليل" ، ولم أزل أرى أنها سهلة للغاية وما كان علي أن أتأثر بها". اتخذ أونيل الأسلوب التعبيري شكلاً ومضموناً لمسرحية القرد كثيف الشعر، وهو اتجاه فني يحاول الاقتراب من الحقيقة وتجسيدها من خلال أشكال غير واقعية عامداً إلى استخدام التأثيرات المتاحة بالرمز والتجريد والوصول إلى أعماق اللاوعي لكشف تلك الرؤيا العميقة والابتعاد قدر الإمكان عن الواقعية الظاهرية السطحية وفي أغلب المقابلات التي نشرت يؤكد أونيل البحث الدائم لديه عن قضية كشف تلك الصراعات الداخلية التي تزدحم بها روح الإنسان وفكره، وأين تكمن تلك الدوافع الخفية التي تقف وراء أفعاله، لهذا اندفع نحو الاتجاهات والتيارات الحديثة التي كانت سائدة في المسرح الأوروبي وخاصة المسرح الألماني، قادته تلك المحاولات إلى حالة الانبهار بالشكل والمضمون التعبيري في المسرح، فقد وجد أونيل أن

ذلك الأسلوب يلائم محاولاته المستمرة في البحث عن أشكال ومضامين جديدة لتجريب الأفكار التي تشغل تفكيره، ويذكر مؤلف كتاب حياة أونيل في المسرح أنه استمع إلى رأي الكاتب بهذا الصدد عندما قال: إن كل مسرحية جديدة تتطلب بناء خاصاً بها، وإذا دار بخلدي اتباع طريقة آلية في التأليف، وهذا شيء أمقته تماما " وثمة إضافة مهمة أيضا تلك التي أوردها الناقد " باريت كلارك " أن أوجين أونيل عندما بدأ كتابة القرد كثيف الشعر أدرك أن الواقعية أو الطبيعية لم تعد تفي بالغرض، لهذا أعلن أونيل صراحة أمام النقاد: " إن الواقعية والطبيعية التي تمسك بها آباؤنا للتعبير عن آمالهم بتوجيه الكاميرا إلى تصوير الجوانب الواضحة والخفية لحياتنا، وتحملنا أكثر من اللازم من تفاهاتها السطحية.."

لقد عبر أونيل عن هدفه الحقيقي من وراء كتابة مسرحية القرد كثيف الشعر فقال في مقابلة أجريت معه لجريدة " نيويورك هيرالدتريبيون " وذلك في ١٦ نوفمبر عام ١٩٢٤ فقال: " إن مسرحية القرد كثيف الشعر هي مسرحية دعائية، فهي ترمز إلى الإنسان الذي فقد انسجامه القديم مع الطبيعة، ذلك الانسجام الذي اعتاده كما اعتاده الحيوان، وهو عاجز عن إيجاده على الأرض أو في السماء، يقف في الوسط محاولاً أن يكون مسالماً متلقياً الضربات القاسية من كليهما، وقد اتضحت هذه الفكرة من خلال كلام يانك، إن الجمهور لم يرَ الرمز بل رأى الوقاد فقط والرمز يضفي على المسرحية أهمية، أو يخلق منها مسرحية أخرى، ولا يستطيع يانك أن يتقدم ولذا يحاول الرجوع إلى

الوراء وهذا ما ترمز إليه مصافحته للغوريلا ، لكنه لا يستطيع العودة للانتماء فيقتله الغوريلا ، إن الموضوع هنا هو ذات الموضوع القديم الذي كان دائما وسيكون أبداً موضوع الدراما الوحيد ، وهو الإنسان وصراعه مع قدره، وقد كان هذا الصراع من قبل مع الآلهة أما اليوم فهو صراع الإنسان مع نفسه مع ماضية مع محاولاته للانتماء.

الشخصيات

- روبرت سميث " يانك "

- بادي

- لونج

- ميلدرد دوكلاص

- العمة

- المهندس البحري الثاني

- السجان

- سكرتير المنظمة

الشخصيات الثانوية الأخرى

– وقادون

– سيدات

– رجال من طبقات مختلفة

– شرطي -

المشهد الأول

إحدى البواخر من عابرات المحيط بعد إبحارها من نيويورك بساعة واحدة وهي تشق طريقها عبر المحيط الأطلسي، القاعة المخصصة لنوم الوقادين في الباخرة، على جميع الجوانب، توجد ثلاث طبقات من الأسرة المعدنية الضيقة وقد رتبت بعضها فوق بعض، في الخلف المدخل، على الأرض توجد مقاعد مستطيلة أمام الأسرة وهي ثابتة، في القاعة صخب كبير وأصوات متداخلة حيث يتواجد عدد كبير من العمال، إنهم يصيحون ويلعنون وبعضهم الآخر يغني وآخرون يضحكون، تتداخل الأصوات وتتحول إلى صخب مختلط في البداية، ثم لا تلبث أن تتضخم وتتحول إلى هالة من ضجيج غير مفهوم يمثل تحدي الحيوان المسجون في قفص الحضارة، إنه يشبه إلى حد بعيد تحدي الحيوان المشدوه الهائج الذي غلفت الحيرة والانكسار بصره وعقله، العمال باختلاف أوضاعهم وأشكالهم كلهم تقريبا سكارى وزجاجات الخمر الكثيرة تنتقل من يد إلى يد، الجميع يرتدون زياً واحداً متشابهاً هو عبارة عن سراويل وأحذية ضخمة ذات أشكال قبيحة قوية وبعضهم يرتدون أيضاً صدارى والغالبية تقريباً عراة حتى الخصر.

وثمـة ملاحظـة أوردهـا هنـا ، أن مـن المهـم ﬞ تنـاول هـذا المنظـر وأي منظـر أخـر سـيرد ﬞ هـذه المسـرحية المتخيلـة يجـب أن ألا يكـون طبيعيـاً بأي حال من الأحوال وتحت أي تفسير.

" مـارلون برانـدو " يجسـد الشخصـية الرئيـسية ﬞ مسـرحية أونيـل " القرد كثيف الشعر " على خشبة أهم المسارح بنيويوك..

مقترح، فالتصور المطلوب هو تجسيد مكـان ﬞ جوف الباخـرة يحـيط بـه مـن جميـع الجهـات فـضاء صـلب لامـع كـأنـه يمثـل قـضبان سـجن، يمكـن الاستفادة من صفوف الأسرة ولا سيما الأعمدة ذاتها التي تحملها وتتشابك، الغاية من ذلك أن تبدو وكأنها أضلاع قفص حديدي كبير وكذلك السقف يجب أن يبدو كأنه يريد الإطباق على رؤوس الرجـال، فهـم لا يستطيعون الوقـوف بقامـاتهم المنتصبة وهـذا مـا يعطـي لظهـورهم علامة التقوس أو التحدب، ذلـك الـذي يبـدو مـن خـلال وقـوفهم وحـركـة أجـسادهم هـو نـاتج عـن تلـك المهنـة الـتي يزاولونهـا – أقـصد العمـل بالجاروف لتهيئة الوقـود – وكـذلك فهـو عمليـاً يـؤثر ﬞ عـضلات الظهـر والكتفين، يجب أن يقدم أولئك العمـال صـورة مقاربـة لـصورة " إنـسان نياندرتال " كما تجدر الإشارة إلى أن صدورهم جميعاً يجب أن تكـون مغطاة بالشعر الكثيف وأذرعهم هي الأخرى طويلة ذات قوة جبـارة، أمـا جبـاه أولئـك العمـال فهـي غـائرة ومـن تحتهـا تبـدو عيـون ضـيقة شرسـة حانقة، إنهم يمثلون جميع الأجناس المتعددة للرجل الأبيض، ولكـن ثمة فروق طفيفة تبدو على ملامحهم وتظهـر بوضـوح ﬞ لـون الـشعر أو الجلد أو العينين، ولكنهم أخيراً متشابهون ﬞ الصورة المطلوب تجسيدها..

قبل ارتفاع الستار، تلف المكان ضجة هائلة، ويبدو " يانك " القوي الجسم جالساً في مقدمة المسرح، إنه ذو قسمات شرسة وهو أكثر اعتداداً بنفسه من الآخرين، والعمال عموماً يبدون الاحترام ليانك، تؤثر فيهم حالتا الحقد عليه والخوف منه، وهو يمثل بالنسبة لهم التعبير المطلوب عن الذات، كما يجسد النموذج المثالي لتلك المجموعة، يانك هو الوحيد الذي وصل إلى اكتمال نموه من بينهم جميعاً...

الجوقة: أنت الذي هناك أعطني شيئا من الشراب..

خذ قليلا..

في صحتك..

في صحتك..

تبدو كأمير مخمور، اللّه يقصف عمرك..

في صحتك..

في صحتك..

أعد إلينا زجاجة الشراب..

اللعنة عليك..

إنه يفرغها في جوفه..

يا من تأكل الضفادع..

يا شيطان أين كنت...؟

لا تورين...

ضربته فوق حلقه فكسرته..

جنكيز – الأول – ذلك الخنزير القذر

حرقه الجنود ، أنا هربت..

أنا أفضل البيرة وأحبها ،

هي تجعل الرأس يدور ،

إني أقول لك إنها عاهرة ،

نعم عاهرة ، سرقت مني النقود وأنا نائم.

كل النساء إلى جهنم ،

أنت كذاب كبير..

أعد هذا الكلام مرة أخرى ،

(يتصاعد هرج كبير وتعم الفوضى المكان ، اثنان منهم على وشك أن يقتتلا فيتم تخليص أحدهما من الآخر)

لا نريد مشاكل في هذه الليلة ، فقط نجرب أينا الأقوى..

" هولاندي "

الملعون إنه الليلة على السطح عند المقدمة..

ستكون مواجهة ساخنة جداً..

اسكت أنت..

لا نريد معارك أو شجاراً أهوج..

نبقى زملاء ، ألسنا رفاقاً.. ؟

(ينطلق أحدهم في غناء بصوت أجش)

البيرة... البيرة... الشراب المجيد..!

أفرغوها في البطون حتى القطرة الأخيرة..

(يانك للمرة الأولى ينتبه إلى الفوضى والأصوات المتداخلة من حوله، يلتفت إلى الجميع مهدداً، ثم يصدر أمره بلهجة فيها الاحتقار الواضح)

يانك: اخرسوا جميعا.. ما هذا الكلام السخيف عن البيرة..! لتذهب تلك المياه إلى الجحيم، البيرة مشروب النساء والهولنديين، أما أنا فأفضل الشراب الذي يجعل رأسي يدور فأبدو ملكاً، سلطاناً، هيا يا أولاد ليأتني أحدكم بذاك الشراب.. (أيدي الرجال تتقدم بسرعة نحوه حاملة عدة زجاجات وبلهفة كبيرة يعب يانك من إحداها ويستبقي الزجاجة في يده وهو ينظر متحفزاً إلى صاحبها الذي يسارع بالتسليم بما فعله، يانك وقد بدأ تأثير الشراب عليه ينظر إليهم، أحدهم يقترب منه).

الرجل: لا بأس يا يانك، احتفظ بتلك الزجاجة معك، أشرب منها مرة أخرى إذا رغبت..

يانك (من جديد يدير ظهره في احتقار لجمهور الجالسين، يتلو ذلك صمت مشوب بالحذر يستمر لفترة وجيزة ثم تنطلق الأصوات مرة أخرى بذات النبرة السابقة).

الأصوات متداخلة وسريعة..

- لا بد أننا الآن نعبر رأس المضيق..
- بدأت الباخرة الآن تتدحرج كالكرة فيه..
- ستة أيام مضت ونحن في هذا الجحيم..

- بعدها نصل سوثها ميتون..

- إني أتمنى لو أن أحدا حل محلي في دوريتي الأولى..

- هل أصبت بدوار البحر يا ضعيف..؟

- أشرب وأنت تنسى دوار البحر..

- هل تعرف ماذا في زجاجتك...؟

- جن...

- شراب الجن شراب الزنوج..

- إنه شراب مخدر يا من تأكل الضفادع.

- إذا شربت عقلك سيضيع..

- ويسكي، جواز المرور لضفاف السعادة..

- أين بادي...؟

- أنه يغرق في النوم..

- بادي أيها المطرب المجيد، غن لنا أغنية الويسكي..

(يتحلق الجميع بأنظارهم نحو الرجل العجوز " أيرلندي " والذي يبدو ذو كيان هرم، تركت السنون على وجهه علامات أكسبته حكمة الشيخوخة، هو يغالب النوم وفي أشد حالات السكر، إنه يجلس على مقعد أمام المسرح ووجهه يشبه إلى حد بعيد وجه قرد، يتجلى في ملامحه كل خصال ذاك الحيوان من الحزن والأسى والصبر والإذلال)

- أيها المطرب الشهير، أيها الصديق بات.. غن لنا الأغنية المقصودة...

- لقد تقدم في السن، أصبح عجوزاً...

- انظروا، إنه في أشد حالات السكر..

بادي: (يحاول فتح عينيه ولكن بصعوبة، ينهض على قدميه غاضباً، يهتز جسده مترنحاً ذات اليمين وذات الشمال، وقبل أن يهوى على الأرض يتشبث بطرف السرير القريب منه) لم يحدث أبداً أن الخمر منعني عن الغناء، عندما أغيب عن هذا العالم في غمرة الخدر أحس برغبة شديدة في الغناء (بنوع من الامتعاض والحزن) هل تريدون أن أغني لكم، يا جوني أعطني الويسكي...؟

أصوات متداخلة غير مفهومة..

بادي: هل تحبون هذه الأغنية... أهذا ما تريدون...؟

(تعلو الأصوات مرة أخرى)

بادي: هذا طلب غريب من أصحاب الوجوه الكالحة، كان الرب في عونكم، ولكن ماذا يهم...؟

(يشرع في الغناء بصوت يغلب عليه الحزن والرقة معاً ويبعث في النهاية على الأسى)

- ويسكي... أعطني ويسكي...
ويسكي يا جوني...

(الجميع يرددون معه مقاطع الأغنية)

ويسكي...
أعطني روح الحياة..
ويسكي يا جوني...

يانك: (ينظر من حوله مرة أخرى بازدراء كبير) اسكت، هذا لحن قديم كما السفن الشراعية قديمة.. وكل هذه الأفكار قد ولى زمانها... مفهوم...؟ وأنت أيها القيثارة القديمة الرديئة.. أنت أيضا قد ولى زمانك وإن كنت لا تدري، أترك هذا الهراء... مفهوم...؟ أريحونا جميعاً، توقفوا عن هذا الصخب (يفتح فمه بابتسامة من لا يصدق التزامهم جميعاً بما يطلب منهم) ألا ترون أنني أحاول أن أفكر..

الجميع: (يرددون الكلمة بعده باللهجة ذاتها، هي لهجة الساخر العابث غير المصدق) تفكر....!

(الكلمة كما ينطقونها لها وقع يشبه رنين جرس معدني، تبدو حلوقهم وكأنها أبواق فوتغرافية، يتلو ذلك ضحك عام صاخب خشن نهايته تشبه نباح الكلاب).

الأصوات متداخلة وسريعة..

- يانك: لا تجعل رأسك يصدع بالتفكير..
- إنك تصاب حتما بالصداع..
- أهم ما في الأمر كلمة أفكر إنها تتفق في القافية مع أسكر..
- هاهاهاه..
- اسكر ولا تفكر...
- اسكر ولا تفكر....

- عدد لا يحصى من الأصوات أخذت تردد العبارة الأخيرة، الجميع يضربون الأرض بأرجلهم ويلكمون المقاعد بقبضات أيديهم).

يانك: (يهدا الصخب، يأخذ في الغناء، صوت يغلب عليه السكر، النشوة تجعله ليس بالعالي وليس بالمنخفض).

بعيداً، بعيداً في كندا..

بعيداً عبر تلك البحار..

هناك تنتظرني فتاتي..

إنها متيمة،

تبني لي في قلبها داراً..

يانك: (وقد تحولت عواطفه وبدت تأخذ اتجاهاً وحشياً) أخرس يا غبي.. أسكت يا رمز القذارة، قل من أين تأتي بهذه الأفكار الوسخة، دار...! دار... جهنم، أنا سأبني لك دارا، بل سأقصف عمرك.. دار عن أي دار تتحدث.. البيت والدار إلى جهنم.. من أين تأتي بهذه الأفكار الوسخة، هذه هي الدار.. أنظر حولك.. مفهوم..؟ ماذا تريد أكثر من ذلك..؟ (بفخر) أنا هربت من بيتنا وأنا صبي ولم أندم قط.. لم أخسر بل كسبت.. هكذا شأني.. لم يكن البيت عندي إلا علقة وراء علقة.. منذ اليوم الذي هربت فيه لم يمسني أحد بأذى ألا تصدقون...؟ تستطيعون أن تراهنوا على صدق هذا الكلام بثيابكم وأنتم ضامنون الرهان... ماذا قلتم..؟ ألا

لأحد منكم الرغبة في أن يجرب...؟ أظن لا (ثم بصوت أكثر استرضاء ولكن اللهجة ما تزال تدل على الازدراء) أنت تقول أن بنات في مكان ما تنتظرك..! لتبلعك الأرض.. أفكار وسخة.. كلهن عاهرات.. إنهن لا ينتظرن أحداً.. أتفهمني يا كبش.. عاملهن بأشد صور الإهانة.. هذه طريقتي.. كلهن إلى أعماق الجحيم.. عاهرات كلهن من أولهن إلى آخرهن.

لونج: (وهو في أشد حالات نشوة السكر يقفز واقفاً فوق مقعده ويبدو في أشد حالة من الهياج ويلوح بزجاجة في يده) يا رفاق اسمعوا إلي.. كلام يانك هذا صحيح.. إنه يقول بدقة - إن المركب هذا هو دارنا، ويقول إن دارنا هذه ليست إلا الجحيم، كلامه صحيح، هذا هو الجحيم، يا رفاق نحن نعيش في جحيم وحتماً سنموت فيه (يرفع صوته بزئير) وأنا أسألكم هذا السؤال.. الذنب على من..؟ ما هو ذنبنا..؟ إننا لم نولد في هذا العسر والشقاء، الناس كلهم يولدون سواسية، أحراراً، وهذا مكتوب في الإنجيل.. ال.. إنه الحق يا رفاق ولكن من منهم يبالي بالإنجيل..؟ أعني هؤلاء الخنازير المنتفخون أصحاب الكروش المسافرون دائماً في الدرجة الأولى.. الذنب ذنبهم.. لقد ألقونا في الحضيض مستعبدين أبداً في مركب ملعون نتصبب عرقاً من أجل لقمة العيش ونحترق ونبتلع تراب الفحم.. الذنب ذنبهم.. ذنب

طبقة الرأسماليين اللعينة (في هذه الأثناء كانت قد بدأت بين الوقادين همهمة هي مزيج من الاستياء والازدراء تتصاعد تدريجياً حتى تصل إلى أصوات حادة تقاطع لونج وتكون بداياتها على شكل الصفير والزفير والهتاف بأصوات غير مفهومة مضمونها التحقير وكذلك التشويش والضحكات الخشنة..)

أصوات متتابعة ومتداخلة..

- أغلق فمك..
- اسكت..
- اجلس...
- أحمق..
- غبي..
- شيطان ملعون..

يانك: (ينهض واقفاً وينظر إلى لونج بنظرة غضب) اجلس قبل أن أجعلك ترى الآن ساعة أجلك..

يانك: طبقة الرأسماليين.. جيش الخلاص.. وأنت تفعل مثلما يفعلون، كل منهم يعمل منصة من صندوق صابون ويؤجر له صالة ويبدأ يعظ الناس بالجنة والثواب وصور العقاب.. السيد المبجل يريد أن يقذف بنا في أحضان المسيح.. دعني من هذا.. كم سمعت من أمثالك.. أدرك جيداً كلكم على

ضلال، تريد أن أقول لك رأيي..؟ لا خير فيكم جميعاً لأحد.. أنتم جبناء، فقاقيع صابون.. قبض ريح لا رجولة فيكم.. مفهوم هذا الكلام..؟ أنتم ضعفاء.. ما دخل هؤلاء أصحاب الكروش ركاب الدرجة الأولى، ما دخلهم بحياتنا نحن العمال..؟ قل لي، ألسنا أقوى منهم..؟ إن الواحد منا يستطيع بإصبع واحدة أن يمحو كل تلك العصابة من اللصوص المترفين، هات واحداً منهم ليعمل هنا في عنبر الأفران وانظر ما يحدث له..؟ دقائق فقط ويحملونه من هنا على نقالة، هؤلاء لا يساوون شيئا، ريش طيور منفوخة، من الذي يسير هذا المركب الكبير..؟ ألسنا جموع العمال الذين نفعل هذا..؟ نحن الأصل أليس كذلك..؟ إنهم لا شيء هذا كل ما هنالك..!

(صوت الجميع مدوياً بالموافقة، بينما يستمر يانك متحدثاً)

يانك: أما ما يقال من أن حياتنا جحيم فهو كلام سخيف، أنت يالونج رجل بلا شجاعة، هذا هو الوصف الصحيح، هذا العمل الذي نقوم به، هو عمل الرجال، هو الأصل، إنه هو الذي يسير دفة هذا المركب، الضعاف خير لهم أن ينسحبوا منه، أنت هزيل يالونج وجبان..نعم جبان..

" أصوات متداخلة تهتف بخيلاء ليانك "

- كلام جميل...

- نعم عمل الرجال..

- الكلام شيء بسيط..
- لونج ضعيف لا يقدر أن يتماسك..
- الموت يأخذه..
- كلام يانك حقيقي..
- نعم نحن الذين نسير المركب..
- إن يانك يقول الحق...
- لا نريد أحداً يذرف الدموع علينا..
- يريد إلقاء الحطب ليضرم النار..
- أخرجوا لونج من هنا..
- إنه جبان...
- ارموه في البحر..
- اتركوني أحطم له أسنانه..

(يتجمهر الجميع حول " لونج " مهددين، يانك الذي اعتدل مزاجه بعض الشيء وتغيرت ملامحه نحو الهدوء يقول باحتقار واضح)

يانك: دعكم من هذا يا رفاق، اتركوه وشأنه، إنه لا يستحق كلمة، أقبلوا على الشراب.. هذا نخبكم جميعاً..

(يشرب جرعة من زجاجته تبدو طويلة وكذلك يشرب معه الجميع، وفي لمح البصر يعود الود والمرح بينهم فيصيحون صيحات صاخبة معبرين عن ذلك بضرب بعضهم بعضاً على ظهورهم، بادي الذي كان طيلة الوقت الماضي تلفه ذكريات حزينة عيناه شبه مغمضتين وفجأة ينطلق متحدثا بصوت يفيض بحزن قديم).

بادي: تقول نحن أصلاء في هذا المركب، وتقول أيضا إننا نسيره إذن فليرحمنا الرب...(ثم يتحول صوته إلى نواح يشبه نواح النساء الثكالى وهو يهز جسمه إلى الأمام وإلى الخلف على المقعد فيحدق فيه الرجال مأخوذين متأثرين على الرغم منهم)

بادي: آه ليتني أعود إلى أيام شبابي الجميلة، و أسفاه علي، في أيام العمر التي مضت كانت السفن بديعة رائعة كالأعلام الرواسي تناطح السماء ويعمل عليها شباب أشداء رائعون، شباب من أبناء البحار كأن أمهاتهم ولدتهم منها، لهم جلود نقية وعيون ذات بريق أخاذ وظهور قوية مستقيمة وصدور عريضة، شباب لديهم الجسارة والشجاعة، كنا مثلاً نبحر من نيويورك متجهين صوب الجنوب ثم ندور حول رأس هورن وبعدها نبحر مع نسمات الفجر الرقيقة ونحن نهتف بنشيد لا توجد فيه مساحة للهموم واليابسة من ورائنا تتقهقر ثم تغيب ونحن لا نبالي، نضحك ننظر إلى الأمام ولا نلتفت إلى الوراء أبداً، كان يعنينا اليوم الذي كنا نعيش فيه إذ نحن أحرار طلقاء، ففي اعتقادي وأيماني أن العبيد هم وحدهم الذين يفكرون باليوم الذي مضى، وكذلك يعنيهم أمر الغد حتى تدركهم الشيخوخة كما أدركتني الآن (تتصاعد لديه ثورة من العواطف) آه ليت مركباً عتيقاً ينساب بي صوب الجنوب مرة أخرى والرياح القوية تدفعه

كمهد يتهادى في أحضان البحر وشراعه مبسوط عليه، آه من تلك الأيام والليالي، كنت ترى فيها الزبد في جرة السفن وقد أشتعل نارا والسماء من فوق رؤوسنا تتألق بالنجوم وهي تومض وميضاً محبباً، وربما كان القمر بدراً، عندما يذهلك مشهد السفينة وهي تشق عباب الليل القاتم وقد تطاولت بشراعها الفضي الأبيض إلى كبد السماء ولا من صوت أو همس فوق سطحها بل نحن جميعاً غارقون في رؤى غريبة حتى ليخيل للجميع أنها لم تكن سوى سفينة تسبح في الخيال " كسفن الهولندي الطائر " التي يقول عنها إنها تجوب البحار دون أن تتوقف في أي ميناء من موانئ بحار العالم، وفي تلك الأيام أيضا شمس دافئة تشرق على سطوح نظيفة وترسل دفئها كالدماء في العروق ورياح تهب على مساحات من مياه لامعة مطرزة بالخضرة، حقول يأتي منها هواء كأنه موصوف بالعافية للرئتين، تلك الأيام كانت مليئة بالعمل، عمل شاق، شاق جداً، ومن ذا الذي كان يضيق بالعمل الشاق..؟ نعمل ولا حاجب بيننا وبين السماء، كل أعمالنا كانت تحتاج إلى مهارة وقوة وعندما كان النهار ينقضي، كنت أجلس أدخن الغليون على مهل، وربما كان السبب في ذلك المطر الذي أراه أمامي أرض يابسة يعلو كتفها شيئاً فشيئاً ونرى الهضاب والتلال في أمريكا الجنوبية ورؤوسها البيضاء التي

صبغتها الشمس بلون شفق الغروب وذاك الغمام يعدو في الأنحاء (تذهب النشوة منه وتستمر في صوته نبرة الحزن) ولكن ما فائدة هذا الكلام..؟ إنه يشبه همسات رجل يقترب من النهاية (متوجهاً بكلامه إلى يانك وبشيء من الغضب) في تلك الأيام كان البحارة فقط ينتمون إلى المراكب والسفن، أما الآن فلم يبق أثر لهذا، في تلك الأيام كانت السفن والمراكب هي قطعة من البحر وكذلك البحارة جزء منها، وكان البحر ذلك العالم المخيف الساحر يجمعهم ويؤلف بينهم (باحتقار) أهذا مركب يا يانك...؟ أهذ الذي تريد لنا أن تلتصق نفوسنا به وتكون قطعة منه، أيعجبك دخانه الأسود الذي يلطخ المساحات النظيفة أم قاطراته الملعونة التي تتحرك وتخلق حركتها اهتزازا متعبا، ولا ترى هنا إطلالة شمس صغيرة، ولا نسمة هواء طيب، هنا صدورنا يخنقها تراب الفحم الأسود، وظهورنا تتحطم وقلوبنا يزحف عليها الجفاف، نغذي تلك الماكنة اللعينة بالفحم ونتغذى نحن من تراب الفحم الأسود، وظهورنا وقلوبنا تتحطم يزحف عليها الجفاف، نغذي تلك الماكنة اللعينة بالفحم، أرى أن القضبان الحديدية مطبقة علينا تخلق حاجزاً بيننا وبين السماء، أحيانا أتصور أننا نشبه القرود الموجودة في حديقة الحيوان (يضحك بصوت خشن) فلتركبك الشياطين يا يانك، ألهذا

تحب أن تنتمي..؟ أتريد أن تجعل من دمك ولحمك وقوداً تسير به الباخرة..؟

(يانك الذي كان ينصت في غير تصديق لما يسمع من بادي)

يانك: (بصوت يشبه نباح الكلاب) نعم.. بكل تأكيد هذا رأيي.. وما العيب في ذلك..؟

بادي: (في حزن عميق يتحدث مع نفسه) أيام الدفء مضت ويا ليت موجة عارمة تفور بأشعة الشمس الذهبية تجرفني معها ذات يوم إلى الأعماق فأحلم مرة أخرى بتلك الأيام التي مضت..

يانك: أنت مجنون... مجنون يا بادي...(ينهض واقفاً ويتقدم نحو بادي مهدداً، لكنه يتوقف وقد أزداد الصراع في داخله ضراوة، يترك يديه تنزل باسترخاء إلى جانبيه، ينظر إلى بادي بازدراء ثم يقول):

يانك: كف عن هذا اللغو يا بادي.. فما أنت إلا حشرة نتنة، أصغر عقلاً من عقل العصفور، وهذا الهراء الذي كنت تنطق به قبل قليل لا بأس به، ولكن أيامه فاتت، هل فهمت..؟ وأنت لم يعد لك مكان بعد.. هل فهمت..؟ لقد هرمت (بامتعاض) قل لي يا بادي ما يمنعك من آن لآخر أن تخرج للهواء..؟ ألا تقدر على ذلك...؟ تعال لترى الذي حدث في العالم في تلك الدقائق التي أخذت تنعق فيها (ينطلق صوته بعنف فجأة وتزداد ثورته وهياجه) أنا أعني كل كلمة أقولها، كيف

أتركك تتكلم هكذا..؟ أنت أيها القيثارة العتيقة..!، وأنتم جميعا أيها الرجال استمعوا إلي لحظة، لابد أن أتكلم، هل هذا مفهوم..؟ أنا الأصل هنا ولي مكان واضح..! أما بادي فلا مكان له، هو من الأموات وأنا من الأحياء إذن استمعوا ألي.. نعم أنا قطعة من الآلات أليست هذه الآلات تدور..؟ أليست حركتها هي السرعة..؟ تلك السرعة التي تخلق المعجزات.. خمس وعشرون عقدة في الساعة.. سرعة خطيرة، هكذا هو الزمن الحديث..! شيء يذهل العقل وليس لغيره مكان..، أما صاحبنا بادي فقد ولى زمانه، وكذلك اللغو المجنون عن الليالي والأيام الخوالي وعن النجوم والأقمار وكل ذلك اللغو أيضاً عن الشموس والرياح والهواء العليل، كل ذلك أضغاث أحلام وبقايا هوس مخدرات، بادي يضرب على وتر الأيام القديمة وهذا ما يفعله دائماً، لقد هرم بادي ولم يعد له مكان هنا، أنا رمز الشباب، أنا عنفوان القوة، أنا الذي أتحرك هنا، هل تفهمون..؟ أنا أرى أن ذلك الهواء هو هواء نقي، وهو غذاء جيد لأني إنسان جديد، مفهوم كلامي هذا..؟ صاحبنا يقول إن مكان الأفران لا يختلف عن جهنم..؟ وأنا أفضل ذلك المكان، أنا أبتلع جهنم وأعدو نحوها، أنا الذي أوقدها وأديم نارها، أنا الذي أجعلها تتوقد وتصبح لهيباً، أنا الذي أحركها ولولا هذا الجسد العظيم لتوقف كل

شـيء في هـذا العـالم، كـل شـيء يخمـد ثـم يمـوت.. هـل تفهموني..؟ دوي الصوت والدخان والآلة التي تتحرك بسرعة مذهلة، كل هذه الأشياء كانت تتوقف لولا يانك وتصبح في حالة العدم، إني أقول إن كل شيء يعمل على تحريك هذا العالم يحتاج بذات الوقت إلى شيء آخر يحركه.. هل تفهمون..؟ فأنا لا أتحرك من غير محرك.. هل تفهمون..؟ أنا قاعدة جميع القواعد.. أساس كل الأسس.. لا شيء قبلي ولا شيء بعدي.. أنا النهاية وأنا البداية.. عندما أقرر أن أحرك شيئاً ما فإن العالم كله يتحرك، هذا الشيء هو أنا، أنا الجديد الذي يتحرك ليمحو القديم، أنا السر العجيب في ذاك الفحم والذي يجعله يشتعل، أنا البخار وأنا الزيت في تلك الآلات، أنا الذي أجعلها تدور وتسمع صفيرها، أنا الدخان، أنا القطارات السريعة والبواخر وصفارات المصانع، أنا السر العجيب في الذهب تلك القوة التي تحوله إلى دولارات وشلنات، أنا الذي يجعل ماء الحديد صلباً، أنا الصلب، أنا الصلب، صلب كل الأشياء، أنا العروق التي في الصلب، أنا القوة الرادعة فيه (يتحرك ويبدأ بطرق قضبان الأسرة المعدنية بقبضته وهو يردد ذلك الحوار، يتحرك في أثره جميع البحارة ليفعلوا كما فعل وقد ارتفعت لديهم درجة الحماسة فانطلقوا يمجدون بفعلهم المحموم ذلك الذات، القضبان المعدنية تصدر أصوات

ضجيج كبير يصم الآذان ومن بين ذلك الضجيج الهادر يأتي صوت يانك)

يانك: يقولون عنا ، إننا عبيد ، كلام سخيف ، نحن ندير المصانع كلها ، أما هؤلاء الأغنياء الذين يظنون أنهم شيء في الواقع هم لا شيء ، ولا مكان لهم ولكننا نحن الرجال هنا داينمو الحركة ، نحن القاعدة ، نحن كل شيء.. (منذ أن بدأت خطبة يانك وبادي يرتشف جرعة أثر جرعة من الزجاجة يبدو ذلك كأنه نتيجة ذعر واضح من يانك وكأنه خائف من الاستماع إلى كلامه ثم بعد أن يسيطر عليه اليأس يشرب بشراهة أكبر وكأنه يريد أن يميت حواسه المتبلدة وأخيراً يصل إلى ذروة السكر ويبدو إنه لم يعد يبالي بشيء.. يراه يانك وهو يحرك شفتيه ويصرخ بصوت مخيف).

يانك: هيهههههههه يا أرقام ، كفوا عن اللغو ، انتظروا اللحظة المرتقبة ، المطرب المجنون بدأ يحرك شفتيه ، أنه يريد أن يقول لكم شيئاً.!

بادي: (وقد أخذ صوته يسمع قليلاً قليلاً ثم يتوضح أكثر ، يدفع رأسه إلى الوراء وينفجر ضاحكاً في سخرية مريرة) هأ... هأ... هأ... هأ... ها...

يانك: (كأنه يستعد لتسديد لكمة ، يقول مزمجراً) أنتبه جيداً ، وأنظر على من تنبح ككلب..!؟

بادي: (وقد لعبت الخمرة بعقله أخذ يغني الآن بصوت مسموع أغنية الطحان من نهر دي..)

الحياة علمتني عدم المبالاة،

نظرت من حولي فوجدت الناس جميعاً

لا يكترثون بي،

فلماذا أهتم..

يانك: (وقد لعبت الخمرة برأسه وانسجم كثيراً مع الغناء يقاطع بادي ويعمد إلى ضربه على ظهره العاري ممازحاً وتعبيراً عن الإعجاب) هذا الغناء الذي كنا نترقبه منك، الآن يا بادي بدأت تفهم ما نريد، عدم المبالاة، عدم الاكتراث، هذا هو الجوهر المطلوب، ليذهب العالم إلى الجحيم، لا يوجد أحد مهم، أنا الآن ملك نفسي، مفهوم هذا الكلام يا أرقام...؟ (يصل صوت مكتوم لثمانية أجراس تدق من خلال الجدران المعدنية، الصوت يبدو وكأن ناقوساً نحاسياً ضخماً قد وضع في عمق السفينة، ينهض الرجال جميعاً وينتظمون في طابور طويل الواحد بعد الآخر وهم يسيرون بشكل آلي ثم يخرجون من الباب وكأنهم سجناء معتقل مربوطين في سلسلة واحدة، يانك يعمد إلى ملاطفة بادي فيضربه على ظهره منبها إياه)

يانك: جاءت ساعة العمل أيتها القيثارة العتيقة (يانك يستمر ساخراً) تعال يا بادي، أنزل إلى جهنم، أدخل إلى أحشاؤك

تراب الفحم واشرب من حرارته، هذه سمات عملنا، تظاهر بأنك تحبه، نعم يا بادي الأفضل أن تفعل هذا، أما إذا كنت لا تريد أنصحك أن تشنق نفسك..

بادي: (في لهجة مرحة لا تخلو من التحدي) ليذهب العمل إلى الجحيم، لن أشارك في ساعة العمل هذه وليعاقبوني إذا شاءوا، أنا لست عبداً مثلكم، سأبقى هنا على راحتي أشرب وأفكر وأحلم الأحلام.

يانك: (باحتقار) تفكر وتحلم..! (ضاحكاً) هأ هأ هأ، وكم ستكسب بالتفكير وبتلك الأحلام..؟ أنظر إلينا.. ألسنا نتحرك.. ونعمل ونخلق السرعة المذهلة..؟ أما أنت فتمثل الضباب والغموض ونحن نشق طريقنا فيه، نمزقه، نسحقه، تذكر دائما ٢٥ عقدة في الساعة ونفكر بالمزيد (يستدير بظهره لبادي وباحتقار كبير) أوووووووه إنه يثير في النفس الغثيان، أنت يا بادي لم يعد لك مكان هنا..

(يخرج يانك من باب خلفي صغير مسرعاً بخطى واسعة، بينما يبقى بادي لوحده يدندن بذات اللحن السابق وهو يغالب النوم).

المشهد الثاني

الزمان: بعد مضي يومين على أحداث المشهد الأول.

المكان: سطح الباخرة – المكان المخصص لنزهة الركاب.

امرأتان في حالة استرخاء على كرسيين من الكراسي الموجودة فوق سطح الباخرة هما ميلدرد دوكلاص وعمتها، الأولى هي فتاة في العشرين من عمرها، نحيلة الجسم رقيقة الملامح في وجهها مسحة من الجمال ممزوجة بشحوب، ينبع من نظرتها المعبرة عن شعور بالفوقية في تعاملها مع الآخرين، وكذلك ازدرائهم، كما يبدو عليها أنها تعيش حالة من القلق وعدم استقرار المزاج وتبدو تصرفاتها ساخطة مليئة بالسأم والضجر وهي تعاني من علة في جسدها تم تعريفها بفقر الدم.

أما العمة العجوز السمينة البدن المنفوخة الأوداج ذات النظرة المتكبرة، وهي بالتالي تمثل نموذجا لطبقتها، كما تضيف التجاعيد الموجودة في وجهها وكذلك النظارات ذات الأذرع الطويلة، كل ذلك يضيف إليها شكلاً مبالغاً في الأناقة التي تجسدها ثيابها للدلالة على المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها، أما ثياب ميلدرد فهي ذات لون أبيض.. المطلوب من هذا المشهد أن يجسد جانباً من حياة البحر الجميلة الساحرة من جميع جوانبها، شلال أشعة الشمس يتدفق على ظهر

المركب الذي يهب عليه هواء البحر البكر وفي وسط هذا المنظر ترى هذين الشكلين المتنافرين والمتكلفين اللذان يبدو أنهما لا يمتلكان الحيوية والانسجام بحيث تشبه العمة العجوز كتلة من عجين متخمر سكب فوقه الزيت الأحمر، وتبدو ميلدرد وكأنها قد فقدت حيويتها من قبل أن تحملها أمها في بطنها، فهي لم تعد تمتلك الحيوية وإنما أصبحت تجسد التعبير الأمثل عن مجموع الصفات المزيفة التي تكتسبها الطاقة في مراحل تشغيلها وتوزيعها...

ميلدرد: (وجهها الذي يتكلف حالة الحلم وهي تنظر إلى السماء) ما أبدع ذلك الدخان الأسود، إنه يصعد إلى السماء على شكل حلقات.. ألا ترينه جميلاً...؟

العمة: (تتحدث دون أن تنظر إلى أعلى) أنا أكره الدخان من أي نوع كان..

ميلدرد: كانت والدة جدتي تدخن غليوناً مصنوعاً من الفخار.

العمة: (بحدة وبشيء من الكبرياء) امرأة مبتذلة..!

ميلدرد: كانت أبعد ما تكون عن الابتذال، ومع ذلك فالزمن جدير بتهذيب الطين..

العمة: (تتظاهر ببعض الملل ولكنها في حقيقة الأمر غاضبة) أهذا كل حصيلة دراستك لعلم الاجتماع في الكلية، هل تعلمت هناك كيف تقومين بدور نبش عظام الموتى في كل مناسبة؟ لم لا تتركين جدتك تستريح في قبرها؟

ميلدرد: (تتصنع أنها تحلم مرة أخرى) بغليونها إلى جوارها وهي تدخنه في أروقة الجنة ؟

العمة : (بحقد وعدم رضا) حقا إنك ولدت لتكوني غولة، بل إن صورتك أصبحت تشبه إلى حد بعيد شكل الغولة.

ميلدرد: (بصوت يخلو من العاطفة) أنا أكرهك ياعمتي (تنظر إليها نظرة فاحصة)أتدرين بماذا يذكرني شكلك..؟ إنه يذكرني بفطيرة محشوة بقطع من لحم الخنزير موضوعة فوق غطاء مائدة من المشمع في مطبخ.. لاداعي للاستمرار في رسم تلك الصورة فهي مقرفة ومملة (تغمض عينيها).

العمة : (تضحك ضحكة مريرة) أشكرك على هذه الصراحة الوقحة، ولكن ما دمت قد عينت حارسة عليك، والاتفاق يقول لا بد أن أبقى كذلك، ولو في ظاهر الأمر، فلنبحث في تفاصيل هدنة ونتفق على عدم اعتداء أو التفوه بكلام بذيء، من طرفي سأتركك تتصرفين في تمام حريتك لتشبعي أي رغبة شاذة أو نزوة طارئة تستهويك للأغراب، ما دمت تراعين التصرف معهم باعتدال.

ميلدرد: (تمط الكلمة في فمها) ياللوضاعة...

العمة : (تواصل كلامها وكأنها لم تسمع مقاطعة ميلدرد لها) بعد أن جربت كل أساليب الإثارة الرخيصة في نيويورك، لا بد أن الناس هناك شعروا تجاهك بالكراهية وخاصة الفقراء

منهم الذين شعروا بظهورك بينهم بفقر أشد من عوزهم المالي، بعد ذلك تفكرين الآن بممارسة نشاطك الهدام هنا، على كل حال أرجو أن لا تصابي بخيبة أمل في حي " هواتيشابك في لندن " عندما تجدين في فقر الناس الذين يعيشون فيه وصفة الدواء المطلوبة، ولكن لا تنتظري مني أن أقوم بحراستك هناك، لقد أبلغت والدك بأنني لن أفعل هذا، إنني أكره جداً التشوه والمشوهين، لقد عزمت على استئجار جيشٍ من المخبرين لحراستك، وبذلك تستطيعين أن تبحثي في كل البنود التي يسمحون لك في البحث فيها..

ميلدرد: (ترد عليها بلهجة جادة غير متكلفة) لا تسخري مني، أنا أحاول الاطلاع على أحوال النصف الآخر من المجتمع، أرجوك أنسبي لي على أقل تقدير بعض الفضل في التماس الصدق والإخلاص في هذا الاتجاه، أنا أود مخلصة مساعدة الفقراء، يا حبذا لو كان من وراء أفعالي خير للناس، هل الذنب ذنبي...؟ لا أدري كيف أفسر ذلك، أود أن أكون مخلصة، أريد أن أضع يدي على مفتاح الحياة في أي موضوع أدركه (بمرارة المتعبة) ولكن و أسفاه لم تتوفر لي لا الحيوية في الفعل ولا الصدق، كلاهما ابتعد عن أسرتنا قبل أن ترى عيني النور، انظري إلى أفران صهر الحديد التي أقامها جدي أليست لهب نيرانها يصل إلى سقف السماء إنها تذيب الصلب وتصنع الملايين، انظري إلى أبي بفضل

عملـه تـشتعل المـد أيفء والمواقـد في البيـوت ويـستمر بجمـع المزيد من النقود ، ثم انظري إلى جسدي أنـا الهزيلـة أقـف في نهاية الطابور ، أنا حصيلة المستهلك في عملية صهر الـصلب ، شـأني في ذلـك شـأن الملايـين المكدسـة ، لقـد ورثـت الـصفة المكتـسبة للمنتجـات الفرعيـة أي أرث الثـروة ولكـنني لم أرث شـيئاً مـن صـفات الـصلب أو قوتـه وهـو الـذي خلـق تلـك الثـروة ، ولـدت مـن الـذهب فحلـت علـي لعنتـه كمـا يقـال في ألعـاب السباق ، نعـم حلـت علـي اللعنـة بـصور شـتى (تـضحك ضحكـة مريرة).

العمة : (وكـأنهـا لم تـسمع كلامهـا ، وقـد رفعـت حواجبهـا في كبرياء واضحة) يبدو أنك اليوم مصابة بنوبة من الصراحة ، ولكنك لست أهلاً لها ، إلا إذا كـان هـذا الإحـساس مجـرد تمثيـل وعندئـذ يمكنـك أن تتـصنعي مـا يحلـو لـك التـصنع ، ففـي هـذا شـيء مـن الإخـلاص ، وعليـك أن تعـترفي بـأن ذلـك السلوك أحب شيء لديك.

ميلدرد : (وهـي تـشعر بازديـاد الـضجر والـسأم) صـحيح مـا تقـولين ، أرجو أن تغفري لـي ذلـك الانـدفاع ، أشـبه أنثـى الفهـد ، فهـي تبدو سـخيفة إذا قامـت بالـشكوى مـن تلـك البقـع الـتي علـى جلـدها الخـارجي (بلهجـة أكثـر سـخرية) أيتهـا الفهيـدة المتمـردة زمجـري ومـوتي وحكـي ومزقـي واقتلـي وابقـري بطنك وقطعي جسدك واشعري بالـسعادة لـذلك علـى شـرط

أن تبقـي في الغابـة حيـث بقـع جلـدك تفيـدك في التمويـه، ولكـن إذا أصبحت داخـل قفـص فهـل تجعلـك شـيئاً ملفتـاً للأنظار..؟

العمة: لا أفهم عم تتحدثين...؟

ميلدرد: مـن الوقاحـة أن أتحـدث إليـك في أي موضـوع.. (تنظـر إلى ساعة يدها) الحمد لله لقد حان الوقت الذي أنتظرهم فيه، أعتقد ياعمتي أن الأمر سيكون مثيراً..

العمة: (تتقـصد في الانـشغال عنهـا) مـا هـذا الـذي تقـولين، هـل صـحيح أنـك قـررت الـذهاب..؟ إلى حيـث القـذارة والحـرارة التي لابد أنها تثير الفزع الكبير..؟

ميلدرد: لقد بدأ جدي حياته عاملا في فرن لصهر الحديد.. فأنـا جديرة بأن أرث عنه تلك المناعة الكبيرة ضد الحرارة التي تتضاءل بجوارها مناعة السلمندر في النار، سوف استمتع وأنـا أضـع تلك القوة موضع الاختبار..

العمة: ولكن أليس عليك الحصول على إذن مـن القبطـان أو غـيره للسماح لك بالنزول إلى عنبر الأفران في المركب.

ميلدر: (تبتسم بانتصار) لـدي آذن مـن القبطـان وآخـر مـن المهنـدس الأول، في الحقيقـة أول الأمـر امتنعـا عـن إعطـائي الموافقـة بـــرغم المستمـــسكات الـــتي تثبـــت اشـــتغالي بالخدمـــة الاجتماعيـة، ولم يكونـا متحمـسين لفكـرتـي في الاطـلاع

على أحوال عمال الباخرة وطريقة معيشتهم، ولهذا اضطررت أن أخبرهم بأن والدي الذي هو رئيس شركة الصلب وكذلك رئيس مجلس إدارة شركة الملاحة هذه قد وافق على الزيارة التي اقترحتها.

العمة: ولكن والدك لم يأذن لك بالزيارة.

ميلدرد: في الشيخوخة تبدو الأفكار أكثر سذاجة، لقد قلت إن أبي أعطاني رسالة إليهم ولكني فقدتها ولم يجرؤ أحد منهم أن يتوهم أني ربما أكون مخادعة (بهياج أكبر) سأذهب إلى عنبر الأفران، المهندس الثاني سيكون بصحبتي إلى هناك (تنظر إلى ساعتها) أزف الموعد، أظن المهندس هو ذا قادم.

(يدخل المهندس الثاني، هو ذو مظهر لطيف إنه في الخامسة والثلاثين من العمر، يقف أمام العمة وميلدرد ويخلع قبعته تحية لهما ويبدو عليه بوضوح الارتباك والحيرة).

المهندس الثاني: هل أنت مس دوكلاص...؟

ميلدرد: نعم.. (تزيح الغطاء عن ركبتيها وتنهض واقفة) هل نذهب في الحال...؟

المهندس الثاني: بعد لحظة واحدة، إنني أنتظر وصول زميلي المهندس الرابع، إنه سيأتي معنا..

ميلدرد: (بابتسامة يشوبها شيء من الاحتقار) تنتظره لأنك لا تريد

تحمل هذه المسئولية وحدك..؟

المهندس الثاني: (يبتسم رغم أنفه) كلا يا سيدتي، اثنان خير من رجل واحد (وقد أقلقته نظراتها يستدير بوجهه نحو جهة البحر ويردد في شبه تمتمة) الطقس جميل اليوم..

ميلدرد: صحيح...

المهندس الثاني: النسيم دافئ ولطيف..

ميلدرد: ولكني أجده بارداً..

المهندس الثاني: الجو حار إذا جلست في الشمس..

ميلدرد: حرارة الجو لا تكفيني، أنا لا أحب الجو الطلق، لم أخلق رياضية..

المهندس الثاني: (يبتسم دون رغبة) المكان الذي تذهبين إليه، لن تطيقي الحر فيه..

ميلدرد: هل تقصد أنني ذاهبة إلى جهنم..

المهندس الثاني: (وقد أدرك مغزى كلامها فقرر أن يضحك) هأ.. هأ... هأ – لا، إنما أنا أقصد عنبر الأفران.

ميلدرد: جدي كان عاملاً في أفران الصلب وكانت لعبته المفضلة الحديد المنصهر..

المهندس الثاني: (بقلق وعيناه ثابتتان نحو البحر) هذا صحيح، ولكن لو سمحت لي يا سيدتي أن أقول ملاحظة واحدة، هل تنوين

الذهاب إلى هناك بهذا الفستان..؟

ميلدرد: ولم لا...؟

المهندس الثاني: لأنك ربما تتلوثين بالقذارة والزيت الأسود، وهذا أمر لا مفر منه..

ميلدرد: ليس مهما عندي فساتين بيضاء أخرى كثيرة.

المهندس الثاني: عندي معطف قديم يمكنك أن تلفيه فوق...

ميلدرد: عندي خمسون فستانا مثل هذا الفستان، سأرمي هذا في البحر بعد أن أعود، والبحر كفيل بأن ينظفه... ألا تظن ذلك...؟

المهندس الثاني: (ثابتاً على رأيه) هناك سلالم سوف تنزليها، وهي ليست نظيفة أبداً، وهناك دهاليز يغمرها الظلام..

ميلدرد: لن أذهب بغير هذا الفستان..

المهندس الثاني: لم أقصد إغضابك، ليس هذا من شأني، ولكني كنت أقصد تحذيرك فقط..

ميلدرد: تحذير...؟ شيء مثير حقاً...؟

المهندس الثاني: (ينظر إلى الطرف الآخر من سطح السفينة ويقول وقد تنفس الصعداء) هاهو المهندس الرابع قد أتى، إنه ينتظرنا... تفضلي..

ميلدرد: تقدم وسأتبعك (يسير وميلدرد تلتفت إلى عمتها بابتسامة

ساخرة) خادم، ولكنه وسيم ونشيط..

العمة: (باحتقار شديد) رقيعة..

ميلدرد: هل سمعته يقول، هناك دهاليز يغمرها الظلام..

العمة: (بنفس اللهجة) آه يا رقيعة..

ميلدرد: (تعض على شفتيها بغضب) صدقت، ولكني تمنيت لو أن صاحبة الملايين لم تكن تتصنع العفة الأنيمية.

العمة: لا شك عندي أنك في سبيل لعب دور جديد، لا مانع عندك من أن تلطخي اسم دوكلاص بالطين..

ميلدرد: وهو من الطين فعلاً، إلى اللقاء يا عمتي، لا تواصلي الطلب من الله بأن يوقعني في نار الفرن..

العمة: رقيعة...

ميلدرد: يا عجوز.. يا شمطاء..(تلطم عمتها على وجهها بقصد الإهانة ثم تنصرف وهي تضحك جذلة).

العمة: (وهي تصرخ في أثرها) مرة أخرى أقول.. إنك رقيعة...!

المشهد الثالث

أفران صهر الحديد....

في المؤخرة تبدو أشكال الأفران واضحة المعالم في الظلام. ويتدلى عالياً فوق الرؤوس مصباح كهربائي يرسل أشعة من الضياء خلال الجو المعتم المحمل بمخلفات الفحم وهذا يجعل المكان تكتنفه الظلال في جميع أرجائه. مجموعة من الوقادين عراة حتى الخصر واقفون أمام فوهات الأفران وهم منحنون لا ينظرون إلى اليمين ولا إلى اليسار، كل منهم يحاول إصلاح أو تركيب جرافة وكأنها جزء مكمل من أعضائه وذلك بإيقاع غريب متأرجح. وهم يستخدمون تلك الجرافات في فتح أغطية الأفران، ومن خلال تلك الفتحات المستديرة ذات اللهب القوي ووسط ذلك الظلام يتدفق سيل عارم من الحرارة والضوء يتسلط على العمال فتظهر فيه أشباحهم في أوضاع هي أقرب إلى التحفز تأخذ في جوهرها شكل القرود المربوطة إلى سلاسل، الوقادون يواصلون العمل بالمجارف بحركة إيقاعية حيث تدور أجسامهم كالخشب وهي مثبتة على محاور فيما بين الفحم المكوم على الأرض من خلفهم والأفواه المشتعلة أمامهم حيث يلقون فيها قطع الفحم.. وفي الخلفية ثمة أصوات ضجيج وغبار يلف المكان، وأصوات اصطدام أغطية الأفران وهي تفتح

وتغلق بعنف ثم خرير الصلب يحتك بالصلب وصوت الفحم وهو يجعل البدن يقشعر ، تداخل في الأصوات ينتج عن تلك الأفران يثير الأعصاب ومع ذلك فيها شيء من الإيقاع من خلال حركة رتيبة ، ويعلو فوق ذلك النبضات الرتيبة للمكائن، مما يعطي الهواء رنينا يشبه الطنين. مع بداية رفع الستار فوهات الأفران وهي مغطاة والعمال في فترة الاستراحة ، وثمة عامل أو عاملان يقومان بتسوية أكوام الفحم خلفهم وهم يجرون الفحم نحوهم وبصعوبة يمكن رؤية الآخرين وهم متكئون على مجارفهم في أوضاع تنم عن التراخي بعد الجهد والإنهاك)

بادي : (وهو يقف في الطابور متوجعا) و أسفاه على نفسي، هذه الدورة اللعينة أليست لها نهاية...؟ لقد قصم التعب ظهري وتحطمت كلياً..

يانك: (في وسط الطابور بسخرية متواصلة) أووووه، يصببني الغثيان كلما سمعتك، ما الذي يمنعك لكي ترقد وتموت..؟ تئن وتتوجع هكذا شأنك على الدوام، هذا عمل للرجال، لقد خلقت له وخلق لي.. إنه مرادي (من مكان ما ومن فوق الظلام تنطلق صفارة بنغمة رفيعة مزعجة يانك يطلق سيل اللعنات دون غضب) ذلكم المهندس الملعون يحرك الكرباج إنه يحسبنا هنا لنلعب.!

بادي: (بشعور عدائي قوي) قاتله اللّه..

يانك: (يأمر الجميع بشيء من الابتهاج والرغبة) هيا يا رجال...

تقدموا إلى العمل.. الباخرة تصرخ من الجوع، احشوا جوفها بالطعام، ألقوا ذاك الفحم في بطنها، افتحوا أفواهها(مع نهاية الجملة الأخيرة يندفع كل العمال في العودة إلى أوضاعهم السابقة ويقومون بإزاحة الأغطية مع صوت احتكاك مزعج وعند انحنائهم على الفحم يتسلط على مناكب العمال ضوء من ذات اللهب وعلى ظهورهم ترتسم خرائط بفعل العرق المتصبب عليها والمخلوط بغبار الفحم وعضلاتهم النامية تبرز وتختفي وفقاً لحالة الضوء والظلام التي تسود المكان)

يانك : (يعد. واحد اثنان. بصوت غنائي وهو يجرف الفحم دون أن يظهر عليه التعب أو الإجهاد) واحد، اثنان، ثلاثة (صوته يرتفع بنشوة الفرح وكأنه يقاتل في معركة) هذا هو الغذاء، أطعموها إياه، هيا سوياً، ارموه فيها دعوها تسير بسرعة، ألا ترونها صارت تتحرك أكثر، ألا ترونها تدخن إنها تخلق السرعة، أمدوها بالفحم يا رجال، الفحم طعامها وشرابها، خذي، تمكني في البحر ثم انطلقي فيه، هكذا، انظروا كيف تسير(تؤدى العبارات الأخيرة بنفس الروح التي يشجع بها جمهور رياضي فريقه الذي يتبارى مع فريق آخر، يدفع الباب ليغلق بوابة الفرن، يحذو حذوه الجميع في وقت واحد بقدر ما تسمح به أجسامهم المتعبة، والأثر الذي ينتظر من هذا هو فتحة نارية تختفي أثر فتحة

نارية أخرى ويرافق هذه سلسلة من أصوات الإغلاق العنيف)

بادي: (يتأوه بألم) تحطم ظهري لقد هلكت(يعقب ذلك برهة صمت وجيزة، تنطلق بعدها للمرة الثانية تلك الصفارة التي لا ترحم وهي منطلقة من منطقة الظلام الممتد فوق المصباح الكهربائي، فتقابل بعاصفة من الغضب والسب والشتائم المتواصلة من قبل الجميع).

يانك: (باحتقار شديد وهو يلوح بقبضته نحو مصدر الصوت) أنت الذي هناك، كفى.. أينا تظن الذي يسير السفينة، أنا أم أنت ؟ عندما أستعد أنا فهذا يعني أننا نبدأ (للآخرين من حوله) لا تتحركوا قبل ذلك انتظروا حتى أستعد.. اسمعوا ندائي..

(أصوات الرجال من حوله بتأييد قوي)

نعم صحيح

يانك أسد السفينة

يانك لا يخاف من أحد

يالك من فتى شجاع يايانك !

أدفعه إلى النار !

قل له إنه حيوان وسخ !

طاغية أهوج وملعون...

يانك: (باحتقار شديد) رعديد وجبان، هكذا المهندسون مهما ازدادت على صدورهم الأوسمة التي يتبخترون بها، وأنت يا

من تطلق تلك الصفارة، اذهب إلى الجحيم، هيا يا رجال إلى البداية مرة أخرى لقد أخذنا قسطاً كافياً من الراحة..إنها تحتاج مرة أخرى إلى المؤونة.. فلنمدها بها ولنزودها بالنشاط الدائم، إنها لم تكن لذاك، لا هو ولا صفارته ينتمون لها، نحن فقط الذين ننتمي، هل فهمتم ما أقول..؟ هيا تحركوا.. (يستدير ويفتح فوهة الفرن بعنف، الجميع يحذون حذوه، في هذه الأثناء يظهر المهندسان الثاني والرابع وهما قادمان من الجهة المظلمة التي في اليسار وبينهما ميلدرد، أنها ترتعش ويتبدل لون وجهها نحو الاصفرار ويتلاشى كل ما لديها من تكلف وتأخذها قشعريرة خوف بالرغم من تلك الحرارة الملتهبة، ولكنها تنتزع نفسها من بين المهندسين وتتقدم عدة خطوات باتجاه الوقادين ثم تقف خلف يانك مباشرة، كل ذلك يحدث في سرعة متناهية في ذات الوقت الذي يدير فيه العمال ظهورهم).

يانك: هيا يا رجال (يستدير ليجرف الفحم، تنطلق الصفارة مرة أخرى، بتعبير غاضب وبأمر حاد يستثار يانك وبغضب شديد بينما الرجال الذين معه قد استداروا جميعهم وقد أذهلهم رؤية " ميلدرد " وهي تقف هناك في زيها الناصع البياض، لكن يانك لا يراها لأنه لم يستدر مثلهم استدارة كاملة، إضافة إلى أن رأسه استند إلى قفاه فهو ينظر إلى

الظلام العالي كأنه يحاول أن يرى ذاك الذي يطلق الصفارة، وقد وضع جاروفه بيد وجعل يلوح به مهدداً متوعداً وأصبح كالغوريلا يدق بيده الأخرى على صدره ويطلق الصراخ عالياً) أنت يا من هناك، أسكت صفارتك، انزل هنا يا جبان، يا ذيل الكلب، يا سليل الأغبياء، انزل هنا ولعنة الله علي إن لم أكسر رأسك، يا عفونة العفن، يا حشرة ما أنت إلا أبن زانية تخوض في الوحل، انزل هنا حتى أجهز عليك، تطلق علي الصفارة، سوف تلقى جزاءك، سوف أطحن رأسك وأدق أسنانك في عنقك وأخرج أنفك من ظهرك وأقطع أحشاءك، ثمن موتك شلن يا وسخ يا أكال كلاب البحر يا بن آل (فجأة يشعر يانك بالآخرين وهم يحدقون في شيء خلفه مباشرة فيستدير بحركة دفاعية ويزمجر بشكل غاضب وينحني استعداداً للمواجهة والانقضاض وقد برزت أسنانه وصارت عيناه تلمع من الغضب الوحشي، ثم يبصر ميلدرد تحت أشعة الضوء الذي يأتي من فوهات الأفران المفتوحة، إنها تبدو كشبح، يحدق يانك في عينيها وقد صار متجمداً في مكانه بينما ميلدرد أثناء استماعها لخطابه هي الأخرى قد تجمدت بفعل الرعب والخوف الذي أثاره يانك فيها وقد انهار توازنها انهياراً تاماً وتحطمت وضعفت من مرأى تلك النزعة الحيوانية التي بدت أعماقها عارية، وبينما أخذت تتأمل وجهه الشبيه بوجه

الغوريلا وعيناها غائرتان في عينيه إذ بها تطلق صرخة مخنوقة متحشرجة ثم تنكمش عنه وتضع كلتا يديها أمام عينيها لتحجب عنها مرأى وجهه وحماية لنفسها، وذلك يثير يانك، يفتح فمه مذهولا وترتسم في عينيه صورة رعب شديد)

ميلدرد: (وقد بدأت حالة الإغماء تلفها توجه كلامها إلى المهندسان وقد أخذ كل منهما بأحد ذراعيها) احملوني، احملوني بعيداً عن هذا الحيوان القذر (يغمى عليها، المهندسين يحملانها بسرعة، ثم يختفيان بها في الظلام من جهة اليسار من الخلف، صوت باب حديدي يوصد بشدة يجتاح يانك غضب جامح ويدرك أنه قد أهين في عمق كرامته، يزأر غاضباً) لعنة الله عليك (يقذف الجاروف في أثرهم فيصطدم الجاروف بالباب الحديدي الذي أوصد ويسقط مدوياً على الأرض، تسمع الصفارة مرة أخرى تنطلق من المكان الذي يغرق في الظلام مدوية بذات الغضب السابق..

المشهد الرابع

سكن الوقادين.. العنبر الخامس..

الوقت ليلاً... مجموعة يانك وقد فرغت لتوها من فترة العمل، الجميع تناولوا طعامهم، أجسامهم ووجوههم تبدو نظيفة ولكن ثمة بقايا من آثار الفحم حول أعينهم ملتصقة بحواشيها فتبدو كأنها سواد الكحل عندما يوضع حول العيون وهي تعطي انطباعاً غريباً ينذر بالشر والعدوانية، وجه يانك وجسده لم يتعرض للغسل.. يجلس مطرقا برأسه بهيئته السوداء ويبدو متفرداً عنهم، يجلس أمام الجميع على كرسي وضع ليمثل فيه هيئة المفكر كما في نسخة تمثال النحات رودان، أما الآخرون فهم منهمكون في التدخين لكنهم ينظرون نحو يانك تارة بشيء من الخوف والقلق وكأنهم يتوقعون حدوث انفجار عارم، وتارة أخرى يعمدون إلى المزاح وكأنهم تذكروا أفكاراً وحوادث تلهمهم المرح واللهو، الأصوات تتصاعد متداخلة..

الأصوات:

- لم يأكل شيئا من الطعام..
- كيف يحيا، لا بد للإنسان من طعام يملأ بطنه..
- هذا كلام صحيح..

- إن يانك يطعم فرن الباخرة ولكنه لا يأكل.

- (ضحكات) ها... ها..

- حتى لم يفكر بغسل يده..!

- أكاد أجزم بأنه نسي كل شيء..

- سنرى...

(أحدهم يرفع صوته منادياً)

أنت يا يانك... لقد نسيت أن تغتسل...

يانك: (بوجه عابس ورد آلي) لم أنس شيئاً... اللعنة على تلك الأفكار..

(أصوات أخرى): سيظل لاصقاً بك...

صوت ١: سوف ينفذ إلى ما تحت جلدك..

صوت ٢: سيظل تحت جلدك حتى تمزقه..

صوت ٣: سيتشوه جلدك بالبقع وتبدو مثل أنثى الفهد..

صوت ١: الحكمة، أن تغتسل..

صوت ٢: من أجل الراحة في النوم..

صوت ٣: اغتسل يا يانك..

صوت ١: نعم.. نظف جسدك..

يانك : (غاضباً) اسكتوا يا رجال.. اتركوني وشأني.. إنني أفكر.

الجميع: (يرددون ذات الكلمة بتهكم واضح) تفكر..؟! (ثم يتعالى ضحكهم وكأنه نباح كلاب).

يانك: (غاضباً) اسكتوا جميعاً.. دعوني وشأني.. ألا ترون أني أحاول أن أرتب أفكاري..

الجميع: (يرددون ذات العبارة بعده في صوت واحد وبتهكم واضح) أنت تفكر وترتب أفكارك.. (أصواتهم تبدو وكأنها أبواق، ثم يتبعها ضحك جماعي كأنه نباح كلاب)

يانك: (وهو ينهض واقفاً وينظر إلى الجميع نظرات فيها عدم الرضا والغضب) نعم أفكر... وهذا ما قلته.. إنني أفكر الآن.. أي ضرر في ذلك..؟ (صمت مطبق يسيطر على الجميع وقد أدهشهم هذا التحول الممزوج.. يجلس يانك مرة أخرى في ذات الوضع السابق مفكراً)

أصوات متداخلة ومتلاحقة

- دعوه وشأنه..
- ربما هي المعاناة..
- ليانك الحق في الشكوى والتذمر..

بادي: (غامزاً إلى الآخرين) أنا الوحيد الذي يعرف علة هذا المخلوق، أؤكد لكم أنه يعيش تجربة حب، (الجميع يرددون ذات الكلمة بتهكم) الحب..(حناجرهم وقد تحولت إلى أبواق معدنية، ويتبع ذلك ضحك جماعي خشن كأنه نباح كلاب)

يانك: (بزفرة ازدراء من أنفه) الحب..؟! اللعنة..! ربما تقصد الكره

والبغض.. نعم لقد وقع يانك في البغض... هل فهمتم الآن..؟

بادي: (وهو يؤدي دور الفيلسوف) الحب والكره لا يقدر على التمييز بينهما إلا حكيم.. (بسخرية لاذعة واضحة التهكم كلما توغل في الكلام) ولكنني أؤكد لكم أنه ليس إلا الحب، فأي شيء آخر غير الحب لنا نحن المخلوقات المسكينة يدفع سيدة راقية في هيئة ملكة تتوشح الملابس البيضاء الناصعة، وهي تنزل إلى عنبر الأفران وتقطع أميالاً من درجات السلالم من أجل أن تنظر إلينا نظرة. (زمجرة غضب ترتفع في كل مكان)

لونج: (ينهض واقفا على كرسي قريب ويقول بحماسة شديدة) إنها لم تأت إلى هنا إلا لتهيننا، أنثى ملعونة، وهؤلاء المهندسون الأغبياء بأي حق يوافقون لكي تتفرج علينا، إننا نبدو كالقرود في حديقة الحيوان، نحن العمال الشرفاء، فهل نقبل أن نتعرض للإهانة في كرامتنا، هل من ضمن شروط التعاقد في العمل أن تهان كرامتنا، كلا، ألف مرة، ولكني أعرف لماذا هم يفعلون ذلك بنا، لقد سألت عنها أحد الخدم العاملين على ظهر الباخرة فأخبرني عن أبيها، إنه مليونير لعين، رأسمالي لعين لديه من الذهب اللعين ما لو وضع في هذه الباخرة لأغرقها، فهو يصنع الصلب اللعين لنصف الكرة الأرضية ويملك أيضا هذا المركب اللعين، أنا وأنتم أيها الرفاق عبيد لديه، تلك

كانت ابنته الملعونة، نحن جميعا عبيد لها، تصدر أوامرها دائما، وهي تشتهي أن ترى الحيوانات في الأدوار السفلى وليس أمامهم غير الطاعة فقط..(تتصاعد زوبعة غضب من كل جانب).

يانك: (ينظر إليه مستغرباً) ماذا تقول...؟ انتظر.. أحقاً تقول...؟

لونج: لا أقول غير الحق، هذا الكلام أنبأني به العامل الذي يقوم بخدمتها أوقات الطعام، والآن أنتم جميعاً أواجهكم بهذا السؤال.. ماذا نحن فاعلون...؟ هل تريدون أن نهضم إهاناتها مثل الكلاب السائبة..؟ أظن أن هذا ليس من شروط التعاقد للعمل على الباخرة.. أعتقد أنه من حقنا أن نرفع دعوى إلى القضاء نوضح فيها الضرر الذي يلحق بنا..!

يانك: (باحتقار وسخرية) أي قضاء... تفو...(يبصق).

الجميع: (يرددون من بعده ذات الكلمة في صوت واحد – أصواتهم تبدو وكأنها أبواق، ثم يتبعها ضحك جماعي كأنه نباح كلاب).

لونج: (يشعر كما لو أن الأرض تهتز تحت قدميه فيقول بيأس) نحن مواطنون، وناخبون، نستطيع أن نرغم الحكومات..

يانك: (بازدراء كبير) حكومات... تفو (يبصق)

الجميع: (يرددون من بعده ذات الكلمة في صوت واحد – وبتهكم غير المصدق - أصواتهم تبدو وكأنها أبواق، ثم يتبعها

ضحك جماعي كأنه نباح كلاب)

لونج: (بحالة من النفور والهستيريا) كلنا أحرار وكلنا سواسية أمام اللّه..

يانك: اللّه...!

الجميع: (يرددون من بعده ذات الكلمة في صوت واحد – وبتهكم غير المصدق - أصواتهم تبدو وكأنها أبواق، ثم يتبعها ضحك جماعي كأنه نباح كلاب).

يانك: (يعاني جفافاً في فمه) لماذا لا تسجل في جيش الإنقاذ..؟!

الجميع: أقعد... اسكت.. أنت ملعون، هل تريد أن تجعل من نفسك محامياً عن البحارة..؟ (لونج ينسحب بهزيمة واضحة ويغيب عن الأنظار)

بادي: (يستمر في البوح بخواطره وكأن أحداً لم يقاطعه متحدثاً بمرارة) كانت تقف إلى الخلف منا، كان المهندس الثاني يشير نحونا بإصبعه، وكأنهما يقفان في سيرك إذا تسمع رجلاً يقول هنا في هذا القفص، قرد أو غوريلا هو أغرب من أغرب من أي نوع تجده في القارة السوداء، نحن نقليهم في عرقهم ولعنة اللّه عليك إذا لم تتوفر لك الفرصة لتسمع بعضهم يقول إنه يتلذذ بهذا التعذيب (يقول كلماته الأخيرة وهو ينظر باحتقار إلى يانك)

يانك: (يرتعد ويطلق أصواتاً تشبه الزمجرة يعبر فيها عن

الاضطراب الذي يجتاح كيانه) أوه..!

بادي: وهناك وقف يانك وكان يطلق الشتائم ويرسل اللعنات ثم يستدير بالجراف يود لو يشج رأسها ، ثم نظرت هي إليه ونظر هو إليها..

يانك: (كمن يتذكر ببطء) كانت ترتدي ثيابا بيضاء، كنت أظنها شبحا.. نعم كنت أتصور ذلك..

بادي: (ساخراً وبشكل لاذع) ربما كان ذلك الحب من أول نظرة، لو رأيتم كيف كان الهيام يغزو وجهها الشاحب، تلك النظرة جعلت جسدها يقشعر، فعمدت لوضع يديها على عينيها حتى لا ترى صورته، بدا عليها حقاً كما لو أنها رأت غوريلا كبيراً " كثيف الشعر " وقد هرب من قفصه الموجود في حديقة الحيوان..

يانك: (وقد أزعجه كلام بادي فزمجر غاضباً) أوه...

بادي: كم كان يانك رقيقاً وهو يرفع الجراف ليهوى به على رأسها ، غير أنها كانت قد توارت عن الأنظار (تعلو وجهه ابتسامة باهتة) أؤكد لكم أن المنظر كان مؤثراً للغاية ، ألم يُشِعْ هنا شيئاً من السعادة المفقودة وشيئاً مما يحدث بين العشاق والأزواج (تعلو عاصفة من الضحك).

يانك: (ينظر إلى بادي مهدداً) اخرس... دعني أتكلم..

بادي: (دون مبالاة يوجه كلامه للآخرين) ثم تشبثت بالمهندس

الثاني ليوفر لها الحماية (يبدأ بتقليد صوت امرأة تقليداً مضحكاً)

قبلني يا مهندس، نعم يا حبيبي فهنا ركن يسبح بالظلام، وأبي الشيخ المسن في وولستريت يجمع الألوف والملايين من الدولارات، نعم ضمني إليك بشدة يا حبيبي لأني أشعر بالخوف من الظلام وأمي على ظهر السفينة تغازل القبطان. (تنطلق عاصفة من الضحك).

يانك: (مهددا بقبضته) ما الذي ترمي إليه..؟ أتقصد بهذا الكلام إغاظتي أيها القيثارة البالية..؟

بادي: لا ورأس أبيك، ألم أتمنَّ أنا لو أنك شججت رأسها..

يانك: (بوحشية واضحة) سوف أشج رأسها.. أنتظر وسوف ترى أني سأشج رأسها..

(يقترب يانك من بادي ويسأله بطريقة تقريرية بطيئة)

يانك: قل لي، هل هي نعتتني بهذا اللقب، أنا غوريلا كثيف الشعر..؟

بادي: (كمن يسترجع شيئا من ذاكرته) رأيت ذلك في نظرتها إليك، هي لم تقل ذلك صراحة..

يانك: (مزمجراً – مكشراً – عن أنيابه بشكل بشع وكريه) غوريلا، أنا غوريلا، هاه، صحيح ربما كانت نظرتها إليّ هكذا، حسنا، أنا غوريلا (ينفجر غضباً، وكأنه يكلمها

وهي لا تزال أمامه) يا عاهرة، يا ساقطة، يا هيكلاً، ليس سوى جلدا على عظم، يا فاجرة يا وجهاً أصفر هربت منه مساحيق الحياة، سوف نرى أينا الغوريلا (يتجه للآخرين وقد استولت عليه الحيرة من جديد) اسمعوا كلكم، لقد كنت أزجره لأنه أطلق نحونا صفارته، كلكم سمعتموني، وبعد ذلك رأيتكم تنظرون إلى شيء فظننته قد تسلل نازلاً نحوي ووقف ورائي لذلك قفزت إلى الخلف لأدق عنقه بذاك الجراف الذي كان في يدي وإذا بها كانت واقفه هناك والضوء مسلط عليها.. ياللّه، في تلك اللحظة كنت لو دفعت بطرف إصبع لسقطت، كانت جسداً خاوياً – خالياً – من الحرارة، لقد ذعرت، لقد ظننتها شبحاً.. هل تفهمون...؟ نعم كانت في زي أبيض، يشبه كفن الأموات، وأنتم رأيتموها أ فبعد ذلك يكون نصيبي اللوم والتقريع، لم يكن لها من مكان هناك، هذا كل ما في الأمر، ولما انتبهت وتأكدت أنها امرأة ذات فستان وأدركت نظرتها نحوي، كما قال بادي، ياللّه تملكني الغضب.. هل تفهمون...؟ إنني لا أطيق هذه المعاملة من أحد كائنا من يكون لذلك ألقيت في أثرها الجراف الذي في يدي، ولكنها كانت قد هربت (بغضب حاد) ليت الجراف قد دق عنقها... ليته شج رأسها..!

لونج: وماذا بعد ذلك..؟ ربما سيكون مصيرك الشنق أو الإعدام

بواسطة الكرسي الكهربائي، هل تعتقد تلك المخلوقة تستحق أن تذهب ضحيتها...

يانك: ومن قال لك أني أبالي إن أعدموني شنقاً أو بالكهرباء، المهم في كل ذلك هو أن أنال ثأري منها، أتحسبون أنني كنت أوافق وأتركها تلطخني بهذا العار، هل تعتقدون أني سأتركها تفلت مني، إن كنتم ظننتم هذا فأنتم قطعاً لا تعرفون يانك، لم يحدث لأحد قط أن فعل هذا وأفلت من يدي، هل هذا مفهوم، لم يحدث أبداً لي شيء من هذا القبيل لا من رجل ولا من امرأة، صدقوني سوف أثأر منها، ولعلها تنزل إلينا هنا مرة أخرى.

(صوت من بين العمال)

الصوت: لا أمل في ذلك يا يانك..

يانك: (يلتفت نحو مصدر الصوت) لماذا...؟

الصوت: أنت أفزعتها لدرجة سيتوقف نمو جسدها عاماً كاملاً..

يانك: (يدور حول نفسه متسائلاً) أنا أفزعتها من قال ذلك..؟ لم تنفر مني كل ذلك النفور..؟ وما الفرق بيني وبينها..؟ كلانا بشر من لحم ودم، غوريلا (تعود إليه الثقة بنفسه ويتظاهر بالشجاعة) سأثبت لها أنني أفضل منها، ربما ستدرك وتفهم ذلك، أنا هنا وجودي شرعي، أما هي فلا مكان لها، يانك يتحرك بينما هي ميتة، خمسة وعشرون عقدة في الساعة،

هـذه حـصيلة عملـي، المركـب يحملـها وأنـا الـذي أصـنع حركة المركب، أنا داينمو الحركة، بينما هي من الأمتعة (يتوقف لحظة مفكراً، ثم يبدو حائراً مرة أخرى) صدقوني كـان شـكلها يـثير الـضحك، هـل تـأملتم شـكل يـديها، كانـت بيـضاء جلـد علـى عظـم، ووجهها الأبـيض الـشاحب وعيناهـا الـتي أبـصرت شـبحاً مـن الجـن، أنـا هـو، غـوريلا ! شبح من الجن، انظروا إلى ذراعي، (يمـد سـاعده وبحـركـة رياضية يبرز عضلاته بشدة) كـان بوسـعي أن أقبض عليهـا بهذا، بل هـذا كـثير، ، بطـرف إصبعي الـصغير وأكـسرها نـصفين (تعـاوده أفكـار تجلـب لـه الحـيرة) مـن هــي تلـك المرأة...؟ ماذا في عقلها..؟ من أين جاءت..؟ من الذي خلقها...؟ وكيف تجرأت ونظرت إلي تلك النظرة..؟ إنـني في حيرة مـن أمـري، لـست أفهـم هـذه المـرأة، إنهـا تبـدو غريبـة الأطـوار، لغـزاً، لـست أدرك مـا تعـني امـرأة مثلـها...؟ لا مكــان لهـا وليست تملأ عيني..(يتزايد الغضب في داخله) ثمة أمر أعرفه عن يقين وعن ثقة تامـة وهـو أنكـم تستطيعون أن تراهنـوني على أني سآخذ بثأري منها، سـوف تـرى أنهـا تـصورت خطـأ أنـني أحـد أوتـار البيـانو وهـي الأصـابع القويـة الـضاربة علـى المفاتيح، سوف أنتقم منها، ليتها تنزل إلينا مرة أخرى سوف تــرون كيــف أرميهــا في الفــرن، وحينئــذ ســوف تــصحو وتتحــرك لتـصيبها قـشعريرة مـن شـيء وسـتكون وقـوداً

للسرعة وعندئذ فقط سيكون لحياتها معنى (يزمجر مكشراً عن أنيابه ذات التكشيرة البشعة)

بادي: لن تعود يا يانك..

يانك: لماذا..؟

بادي: لقد نالت ما يكفيها وأكثر.. أظنها الآن ترقد في فراش المرض، حولها عشرة من الأطباء والممرضات يسقونها بين لحظة وأخرى شراب الأملاح لتطهيرها من الخوف..

يانك: (وقد أشتد به الغضب) حتى أنت يا بادي تعتقد شكلي جعلها تصاب بالغثيان ويؤدي ذلك إلى الإغماء، غوريلا، هيه..! (في غضب متزايد) سأنتقم منها، سأجعلها تعرف حدودها، ليس هناك من خلاص غير أن تجثو على ركبتيها أمامي وبطيب خاطر تسحب أهانتها وإلا سيدفعني رفضها إلى فصل رأسها عن جسدها (يلوح في الهواء بقبضته ويدق على صدره بالقبضة الأخرى) إنني قادم إليك، سأظفر بك، هل تسمعين، إنني منتقم منك، إني أصرخ بأعلى صوتي، لعنة الله عليك (يندفع بهياج كبير نحو الباب تتصاعد أصوات من خلفه).

الأصوات: أوقفوه..

صوت ١: هكذا سيقتل بالرصاص إذا قتلها..

صوت ٢: نعم يقتل نفسه..

صوت ٣: امسكوه و اطرحوه أرضاً...

صوت ٤: امسكوه..

صوت ٥: لقد جن جنونه..

صوت ٦: يا رب ما أقواه..

صوت ٧: أبقوه مطروحاً على الأرض..

صوت ٨: حاذروا أن يفلت منكم..

صوت ٩: أوثقوا ذراعيه بقوة..

صوت ١٠: امسكوه..

(يتجمعون عليه وبعد صراع عظيم معه يتمكنون من طرحه أرضاً بفضل كثرة عددهم ويوقفونه قبل أن يخرج من الباب).

بادي: (من بعيد صارخاً) أبقوه موثقاً حتى يهدأ.. (ثم بسخرية واحتقار) ما أشد غباءك، كل هذا بسبب خنزيرة، كتلة من العظام لا يجري في عروق جسدها من الدم الحر قطرة واحدة..

يانك: (كالمحموم يتكلم من تحت أعداد العمال المتكاثرة فوق جسده) تلك المخلوقة لطختني بالوحل، هل تنكر يا بادي سأظفر بها بأي شكل، وأنتم اتركوني، دعوني أنهض، سأريها آينا الغوريلا..!

المشهد الخامس

بعد مرور ثلاثة أسابيع على أحداث المشهد الرابع، المنظر في المشهد الجديد يدور في جانب من الشارع الخامس وهو أحد الشوارع الموجودة في مدينة نيويورك، الزمن المفترض للمشهد هو أحد أيام الآحاد، الجو لطيف، المنظر العام في العمق يوحي بتفاصيل شارع واسع ونظيف ذي ترتيب جيد، أشعة الشمس تتسلل بوضوح إلى أرجاء المكان، النسمات البحرية الرقيقة تلطف الأجواء، في نهاية المنظر تبدو عدة دكاكين أحدها يقوم في ناصية الشارع، لوحة دعائية أخرى لمؤسسة بيع المجوهرات يعقبها متجر لبيع الفراء، في واجهة المحل الأول تبدو للناظر المجوهرات وهي تؤكد حالة الثراء الفاحش وكذلك تثير رغبات متصارعة لدى عامة الناس من الفقراء والمحرومين، الواجهة أيضاً تشع ببريق الذهب والماس والزمرد والعقيق وكذلك اللؤلؤ، صنعت منه نماذج على هيئة عمائم منمقة وتيجان وعقود نسائية وأطواق وأشكال أخرى، يتدلى من كل نموذج من تلك المجوهرات بطاقة كبيرة كتب عليها بنور كهربائي سعرها الخيالي بالعملة المتداولة في الولايات المتحدة " الدولار " السعر يظهر ثم يخبو دون توقف، ومثل تلك الوسائل الدعائية ترى في مؤسسة الفراء، حيث يشاهد فيها معلقاً عدد من الفراءات الثمينة من

كل الأنواع والأصناف، جميعها تسبح في نور باهر من إضاءة صناعية مرتبة بشكل دعائي، المطلوب من توظيف كل تلك التفاصيل أن تقدم خلفية فاخرة للعرض المسرحي بما يتناقض مع المضمون الذي يهدف المشهد إليه، حيث يحط من قيمتها ويوضح سخفها كثرتها وعرضها للبيع، الخلفية تبدو وكأنها شكل قبيح ونشاز أمام تلك اللوحة الطبيعية الجميلة حيث تتسلل أشعة الشمس وتكشف بضوء باهر كل التفاصيل الخاصة بالشارع الذي يدخله يانك ولونج قادمين من أحد الشوارع الجانبية وهما يترنحان، هيئتهما تبدو على النحو التالي: لونج ارتدى قميصا قصير الأكمام ووضع في عنقه رباطاً أسود وعلى رأسه طاقية من القماش، أما يانك فملابسه تبدو قذرة وهي مصنوعة من القماش الرخيص، على رأسه قلنسوة وقاد ذات زر أسود يلبسها بشكل مائل، لحيته كثة لم يحلقها منذ أيام، أثار العمل واضحة عليه من بقايا تراب الفحم الملتصق بحواشي عينيه الوحشيتين الغاضبتين بحيث يبدو ذلك كما لو كان كحلا، وذات الشيء نراه في وجه لونج ولكن بشكل أقل، إنهما يترددان ثم يتوقفان معاً عند حافة الرصيف، يترنحان وينظران حولهما بنظرات فيها من الحقد والاحتقار الشيء الكثير الواضح.

لونج: (يشير إلى المنظر مخاطباً يانك) ها قد وصلنا الشارع الخامس، هذا الحي خاص بهم، مقصور عليهم..! (بمرارة واضحة) نحن هنا ينظر إلينا على أننا معتدون ولا حق لنا في المسير هنا، كأني أسمع أحدهم يصرخ فينا – يا عمال، يا

صعاليك، ابتعدوا عن أحواض الحشيش.

يانك: (غافلاً) أين هو الحشيش يا غبي..؟! (ينظر من حوله وقد سيطر عليه النظر إلى الرصيف) ما أنظف هذا المكان..! أستطيع أن ألعق الطعام من عليه لعقاً، لقد تعبوا كثيراً في كنسه وتنظيفه، (تجوب نظراته الشارع من أوله إلى نهايته متفحصة) أين الجبناء لابسو الياقات البيضاء..؟ ألم تقل لي سنجدهم هنا..؟ أين ذوات الملابس القصيرة من أمثالنا...؟

لونج: ربما في الكنيسة، اللعنة عليهم، يتقربون من الله، إنهم يدعونه ليغدق عليهم المزيد من الجاه والمال..!

يانك: آه.. الكنيسة..؟ أتى علي وقت كنت أذهب إلى الكنيسة، وذلك عندما كنت صبياً، أجبرني على ذلك أبي وأمي بينما لا أتذكر أنهما كانا يخطوان إليها خطوة واحدة، بل أتذكر أنهما كانا دائما يشكوان من الصداع في صبيحة كل أحد (يكشر عن أنيابه) كان كلاهما من الكادحين المنشغلين في البحث عن لقمة العيش، عندما كان يحل عليهما مساء السبت وقد توفر لهما من الطعام ما يملأ البطن تنشب بينهما معركة لم تر مثلها مسارح لندن، وبعد أن ينتهيا من ذلك لا تجد لمنضدة أو لكرسي رجلا يقف عليها، في تلك المدرسة تعلمت أخذ الثار (يكشر عن أنيابه ويترنح) أنا أمثل الفرع من ذلك الأصل... أتفهم ما أعني...؟

لونج: هل أشتغل أبوك في البحر...؟

يانك: لا.. كان طوال حياته في البر، وقد هربت من البيت عندما أصيبت أمي بأمراض الإدمان، وجدت لي عملاً في السوق ثم في عربات النقل العام، ثم خرجت إلى البحر لكي أعمل وقاداً، العمل الأخير هو أحسن الأعمال عندي ولا قيمة لعمل غيره (يلتفت من حوله كأنه يدقق في التفاصيل الخاصة بالمكان) لا أظن أنني رأيت هذا المكان من قبل، أتذكر الآن الماضي لقد جروني إلى ساحل بروكلين جراً (يسحب نفساً عميقاً) هذا المكان لا بأس به..

لونج: (بشيء من الاحتجاج) لا بأس به، اعلم إن كنت في غفلة من الحقيقة، أننا معشر العمال نحن الذين أقمناه وشيدناه بعرق الجباه.

يانك: (بغضب ونفور) يا للعذاب، ليس أرى أحداً منهم، ولا امرأة واحدة من مثيلاتها – كل ما أراه الآن من حولي يشعرني بالألم، لا شيء هنا له قيمة، ألا توجد مراحيض خلف هذه البنايات..؟ هيا بنا نفك حصارنا المزعج، كل ما تقع عيني عليه هنا نظيف وهادئ ومزين كالعروش الملكية، ‘ن وجودنا هنا يشعرني بالألم.

لونج: قليلاً من الصبر وسوف ترى..

يانك: ليس من عادتي الانتظار، حياتي في الحركة المتواصلة

ورغم كل ذلك أريد معرفة لماذا أنت جئت بي إلى هنا..؟ هل لك رغبة خفية تريد من خلالها أن تسخر مني، إذا كنت كذلك فأنت مغفل..!

لونج: هي رغبتك أن تظفر بها من جديد..؟! إنك كنت كالمحموم تردد ذلك منذ أن لحقت بك الإهانة.

يانك: (بعنف شديد) وسأظل أردد ذلك.. لم أكن أسعى للثأر منها في سوثهامبنون..! ألم تلاحظ كيف تسللت نحو الرصيف وتربصت بها عند سقالة النزول..؟ كنت اتخذت قراري بالبصق على وجهها، أن أبصق في مقلة عينيها هذا الذي كان يقدم الشفاء لغليلي.. هل فهمت يا لونج..؟ ولكن الفرصة لم تسنح لي، لقد كان هناك جيش عرمرم من المخبرين، لقد التقطوني وعرفوا نواياي فأبعدوني، وبعد ذلك لم أرها أبداً، ولكني مصمم على الأخذ بثأري منها وسوف ترى ذلك (ثم بغضب شديد) تلك العاهرة القذرة، تقتل نفساً وتظن أنها تستطيع الهرب – لا – إنها لن تفلت من قدرها المحتوم لن تنجو من يدي – سأنتقم منها انتقاماً رهيباً – إن عقلي يبحث في أمرها وسأهتدي إلى طريقة.

لونج: (يبدي الامتعاض الواضح وبشيء من الاحتجاج) أليس هذا هو الذي من أجله جئت بك إلى هذا المكان، لقد اتفقنا أن تراها هنا، بدأت تطرح أفكاراً خاطئة، كما لو أن الأمر بينكما يمس شخصيكما لا غير، تلك المرأة مجرد شريحة

من تلك الطبقة العفنة، جئت بك إلى هنا لكي أوقظ فيك الشعور الطبقي المتوهج وعند ذلك ستدرك أن عليك أن تحارب تلك الطبقة وألا تحارب فقط امرأة واحدة تنتمي إليها، هناك الكثيرات كغيمة سوداء تثقل القلب، أتمنى لو أن اللّه يذهب أبصارهن فيصبن بالعمى.

يانك: (يبصق في راحتيه ويفركهما استعدادا للقتال) كلما كان عددهم أكثر كانت اللذة أعظم، استدعهم جميعاً..

لونج: سوف تراهم بعد لحظات وهم يغادرون الكنيسة (يدير ظهره بحركة مفاجأة فيرى المعروضات في واجهات المحلين لأول مرة) ليخزهم اللّه – تعال انظر، هل رأيت هذا من قبل..؟ (يتقدمان وينظران إلى الجواهر، لونج وقد استشاط غضباً) أنظر إلى هذه المجموعة الرائعة ثم أنظر إلى أثمانها الفاحشة، أكثر من كل ما يكسبه كل الوقادين في عشر رحلات شغل في سعير جهنم، أمثالها يشترينها ببساطة كلعب لتتدلى عليهن، إن ثمن واحدة فقط من هذه المجوهرات يكفي لتوفير العيش الكريم لعائلة تتضور جوعاً طوال العام.!

يانك: أوخ... دعك الآن من سخافات العواطف، ليذهب جميع الجياع إلى الجحيم، كأنك تريد أن تطلب مني تبرعات لهم، هل رأيت تلك الأشياء الجميلة ولاشك أن لها سعراً عالياً إذا ارتهنت (ينصرف عن الحانوت وقد تصاعد لديه

شيء من السأم) ولكن ما جدواها كلها..؟ وليملكوا منها ما شاءوا – بهذه الأشياء لا أعتقد أنهم قادرون على الانتماء (تصدر حركة من يده القصد منها إسدال ستار النسيان على موضوع الجواهر) كل هذه الأشياء أمام عامل التحدي لا قيمة لها...مفهوم..؟

لونج: (وقد استبد به الغضب.. يندفع بتهور نحو محل بيع الفراء) وهذه أيضا لا قيمة لها، هي مجرد بقايا حيوانات ذبحوها لكي يتسنى لتلك المتغطرسة ومثيلاتها أن يدفئن أنوفهن.

يانك: (وقد صار يحدق في شيء استولى على اهتمامه في الداخل) ألق نظرة على ذاك الفراء المعلق أمامك، إنه جلد نسناس، قيدوه بألفي دولار (ثم في حيرة واستغراب) هل هذا معقول...؟ مجرد جلد نسناس..!

لونج: (بمرارة واضحة) طبعاً.. وماذا ننتظر الآن..؟ (في كوميديا سوداء) إنهم يضنون بهذا المبلغ على جلد أصيل لغوريلا، جلد يشمل الرأس والجسد والروح، تلك بيعة لا حدود لها..

يانك: (يهز قبضتيه في الهواء غاضباً) هكذا يقذفون به في وجهي..؟ إهانة لا حدود لها.. سأنتقم منها..

لونج: (يبدأ التأثر عليه) أنظر هاهم المصلون يغادرون الكنيسة وهاهم الخنازير الملاعين قادمون (بعد نظرة إلى وجه يانك – يقول بقلق واضح) اهدأ قليلاً، تحكم في أعصابك، تذكر

إن العنف يدمر من يختاره، ليس هو اختيارنا، علينا أن نحصل على ما نريد بالطرق السلمية، طريقنا الانتخاب، نحن العمال القوة الجديدة في هذا العالم.

يانك: (بازدراء لا حدود له) انتخابات...! تلك مهازل العصر..! مفهوم يا لونج...؟ أترك التصويت والانتخابات للنساء، نحن لنا مهمات أخرى..

لونج: (وقد صار القلق يتعاظم لديه) اهدأ، عاملهم بما يليق من احتقار واضح، راقب أولئك الطفيليين بكل الهدوء والتحفز ولكن أوصيك أن تكبح جماح غضبك يا صاحبي..

يانك: (في ثورة واضحة كبيرة من الغضب) ابتعد عني.. أنت جبان ومهادن، أنا القوة، وهذا العالم لا يحترم غير لغة القوة (يخرج من الكنيسة من جهة اليمين حشد كبير من الناس وهم يتحركون ببطء وتكلف ووجوههم تبدو وكأنها مشدودة إلى شيء، هم لا يلتفتون يميناً أو يساراً ويتحادثون بأصوات من دون نغم مميز ويتكلفون الابتسام، النساء في مكياجهن الفاضح غير المرتب مثقلات بالملابس، والرجال يلبسون الجاكتات ذات الأذيال والقبعات العالية والجوارب الطويلة ويحملون في أيديهم العصي، إنهم يبدون كما لو كانوا يسيرون في موكب شخوصه من الدمى المزركشة إلا أن فيهم شيئاً من الملامح الجامدة التي تؤكد القسوة والعنف يتماثلون مع وحوش فرانكنشتاين ومخلوقاته المشوهة من

حيث اللاوعي، يسيرون كما لو كانوا نماذج آلية).

أصوات متداخلة:

صوت ١: هل سمعتم كلام عزيزنا صاحب النيافة..؟

صوت ٢: رجل مخلص ومحترم.

صوت ٣: لقد أدركني النعاس أثناء الخطبة.

صوت ٤: ماذا كان موضوعها...؟

صوت ٥: عن حالات التطرف..

صوت ٦: وعن الأشخاص الذين يروجون للمبادئ الزائفة..

صوت ٧: علينا أن نقيم سوقاً أمريكية خالصة.

صوت ٨: ونحاول أن نتبرع بعشر معشار ضريبة الدخل السنوية لكل منا.

صوت ٩: فكرة عبقرية ومدهشة.

صوت ١٠: ونخصص الناتج والأرباح لكسوة الهيكل في الكنيسة.

صوت ١: وما الجديد في هذا الأمر هذا ما فعلناه مراراً وتكراراً..؟

يانك: (ينظر إليهم متفرسا في وجوههم الواحد تلو الآخر، ثم يصدر صوتاً مهيناً من أنفه) ها... ها.. (المارة دون أن يبدو عليهم أنهم يرون يانك أو سمعوا تعليقه، يختارون ممراً بعيداً عنه تجنباً للبقعة التي يقف فيها يانك في وسط الرصيف)

لونج: (وقد استبد به الرعب) أغلق فمك... اكبح جماح غضبك..

يانك: (والشر يبدو بوضوح على محياه) ابتعد عني... نصائحك تلك لا تفيدني (يبتعد عنه مترنحاً كما لو كان ثملاً ثم يلقي بنفسه على رجل من ذوي القبعات العالية.. إنه يتفرس في وجهه متحرشاً وسالكاً سلوكاً عدوانياً) أتعرف من الذي تصطدم به أنت...؟ أتظن أنك تملك العالم..؟

الرجل: (ببرود واضح متجاوزاً ذاك السلوك) إني آسف جداً.. (الرجل لا ينظر إلى يانك وعندما يبتعد عنه يتركه في حيرة كبيرة)

لونج: (يندفع نحو يانك ويمسكه من ذراعه غاضباً) هيا بنا ننصرف من هنا... ليس هذا الذي كنت أريدك أن تفعله، هكذا ستكون سبباً في انقضاض رجال الشرطة علينا..

يانك: (يدفعه بشدة ووحشية يتعثر على الأرض) ابتعد من هنا..

لونج: (يلملم نفسه وينهض ثم يقول بحالة هستيرية) سوف أهرب منك، إنك تثير قلقي، لم أوح إليك بشيء من هذا السلوك العدواني، إذا حدث لك شيء فلا تلم إلا نفسك..! (يتوارى من جهة اليسار)

يانك: أذهب دون رجعة (يتقدم مقترباً من سيدة – تمر بجواره، يضحك ضحكة ماكرة وخبيثة ثم يغمز بعينيه غمزة فيها تكلف) هلو يا أميرة أحلامي، كيف حالك يا صغيرتي، يا ترى هل أنت مرتبطة بموعد هذه الليلة..؟ لدي مكان سحري قرب الميناء نستطيع أن نندس فيه (تمر به السيدة

دون صوت أو التفاتة أو تغيير في سرعة سيرها ، يتجه نحو الآخرين بالشتائم والسباب) أعوذ بالله ، ما أقبحك..!؟ هلا تواريت من هنا قبل أن تراك الخيل فتجمح..؟ وأنت ، وجهك مثل يوم تسوده الأعاصير ، مكياج فوق مكياج من أولك لأخرك من أجل أن تحركي العواطف..!، وأنت الأخرى صورتك مثل الأموات المجهزة للرمي في القبور ، ابتعدوا كلكم ، صوركم تسبب القذى والرمد في العين ، أنتم لا مكان لكم...مفهوم...؟ لم لا يجرؤ أحد منكم على النظر إلي..؟ لأنني الوحيد الذي له مكان (يشير بيده إلى الجانب الآخر من الشارع حيث تقوم ناطحة سحاب في مرحلة البناء ثم يقول بأسلوب خطابي) ألا ترون العمارة التي تبنى هناك..؟ ألا ترون الصلب فيها...؟ أنا ذلك الصلب ، أنتم تعيشون عليها وتحسبون أنكم شيء ولكني أنا فيها ، أنا الآلة الرافعة التي تجعل البناء يرتفع نحو الأعالي ، أنا الصميم منها والقاعدة ، أنا الصلب وأنا البخار وأنا الدخان وغير ذلك ، انظروا إنها تتحرك ، إنها تزدهر بالسرعة ، خمسة وعشرون طابقاً في السماء وأنا في القمة وكذلك في القاع أتحرك ، وأنتم أيها البلهاء لا حراك فيكم ، ما أنتم سوى دمى ، لعب أطفال أملؤها لأراها تدور ، أنتم قمامة.. هل تفهمون..؟ والآن ما ردكم على هذا (ثم يتجه للرجال وقد اشتد به الغضب فيصطدم معهم بجسمه وقد ركبه

الشر بقوة ولكنهم لا يبالون به أدنى مبالاة ولا يخرجون عن هدوئهم، بل هو الذي يرتد جسده بعد كل اصطدام ويستمر في التهديد والزمجرة) أرفع رجلك عن الأرض... أبعد..! لم لا تنظر إلى موضع قدمك..؟ تعالوا هنا قاتلوني.. تعال أنت وقاتلني وإلا قتلتك (ولكنهم دون أن يبدو عليهم أنهم يرونه يجيبون بأدب آلي مفتعل " آسف " ثم تسمع صيحة امرأة عند واجهة متجر الفراء فيهرع إليها الرجال)

المرأة: (في نشوة وهي تشهق بفرح غامر) فروة نسناس..!

(الجميع من رجال ونساء يرددون في نفس واحد وبنفس النغمة من الفرح المصطنع) فروة نسناس..!

يانك: (تندفع رأسه إلى الخلف على كتفه دفعة مفاجئة وكأنه تلقى لكمة شديدة في صفحة وجهه – يزأر) رأيتك يا ذات الثياب البيضاء... رأيتك يا عاهرة... رأيتك يا صفراء الوجه... تقولين أني غوريلا... سوف أسلخ جلدك..

(ينكفئ ويجعل يخلخل في بلاط الشارع كأنه يحاول انتزاعه والقيام برميه عليهم وعندما يفشل في تحقيق ذلك يعمد إلى العواء كما لو كان ذئبا محموماً يمتلكه الغيظ ثم يقفز نحو عمود إضاءة الشارع ويحاول خلعه ليستعمله كعصا.. في هذه اللحظة يسمع صوت سيارة كبيرة تستخدم لنقل الناس كالباص قادمة.. رجل بدين الهيئة ذو قبعة عالية وجوارب طويلة يعدو مسرعاً للحاق بالباص وهو يصرخ رافعاً يده.. انتظر..

توقف.. الرجل يصطدم اصطداماً حاداً بيانك وهو في حالة انحناء وتوتر فيفقد يانك توازنه وينكفئ على الأرض..)

يانك: (وقد وجد الفرصة سانحة لبداية معركة، يقفز ناهضاً ويقف على قدميه وهو يصرخ بفرح مشوب بالغضب..) وأخيراً.. تريد اللحاق بالباص.. سأجعلك تهوى في جهنم (يرفع قبضته القوية ويسدد لكمة سريعة على ذلك الوجه البدين فتغوص فيه، ولكن الرجل يقف دون حراك وكأن شيئا لم يحصل).

الرجل البدين: آسف...عفواً يا سيدي.. (ثم بشيء من الضيق) ولكنك تسببت في ضياع الباص (يصفق بيديه ويأخذ في الصياح العالي والغاضب) يا سيادة الضابط... يا ضابط الشرطة (ينطلق أعداد كثيرة من صفارات رجال الشرطة في الحال ويهجم على يانك من كل جانب فيلق من رجال الشرطة، يانك يحاول أن يقاتل ولكن رجال الشرطة يضربونه مستخدمين الهراوات ويلقون به بعد فترة وجيزة على رصيف الشارع، الجموع المحتشدة عند واجهات المحال لم تتحرك ولم تشاهد الحادث... سيارة دورية الشرطة وهي تطلق صفارتها المميزة تقترب من مكان الحادث ويعلو الضجيج الكبير).

المشهد السادس

بعد مرور يوم على الأحداث التي حصلت في المشهد السابق، المنظر يمثل صف زنزانات السجناء في سجن قديم يقع في جزيرة بلاكولز، الشكل العام للزنزانات يبدو ممتداً في ترتيب مائل من جهة اليمين أمامياً إلى جهة الشمال من الخلف، وذلك الترتيب لا ينتهي وإنما يختفي في ظلام الخلفية كما لو كان يمتد إلى ما لا نهاية، كما أن عدد الزنزانات لا يحصى، ثمة مصباح كهربائي معلق في السقف المنخفض والموجود في الممر الضيق، المصباح يلقي الضوء من خلال القضبان الغليظة للزنزانة التي تقع في أقصى الأمام كما يكشف جانباً من داخلها، نرى يانك في داخلها وهو يقبع على حافة السرير كما لو كان قد استعار تلك الصورة المشهورة في لوحة المفكر التي رسمها الفنان رودان، إنه يجلس على السرير بشكل يماثل حالة ذلك الجلوس في تلك الصورة ن تبدو على وجهه كدمات زرقاء وسوداء ورأسه ملفوف بضماد به أثار دماء.

يانك: (فجأة تنتابه حالة فزع شديد وكأنه قد تخلص من كابوس، يتحسس القضبان القريبة منه، يهزها بعنف وقوة ثم يتحدث مع نفسه بصوت مسموع وهو يكشف عن حالة

العجب لما حصل له) قضبان حديد..!! أليست هذه بوابة حديقة الحيوان...؟! (تتعالى أصوات قهقه خشنة بحيث يبدو الصوت كأنه نباح كلاب وهو يصدر عن بقية السجناء في الزنزانات المجاورة لا يمكن رؤيتهم فقط تسمع قهقهتهم على طول امتداد تلك الزنزانات ثم تنقطع فجأة).

أصوات متتابعة متداخلة باستهزاء: (باستهزاء)

صوت ١: حديقة حيوانات..!!

صوت ٢: هذه تسمية جديدة لهذا القفص.

صوت ٣: اسم ما أجمله..!

صوت ٤: تقول هو حديد وصلب...؟!

صوت ٥: كلمة تملأ الشدقين هذا هو البيت الحديدي العتيق..!

صوت ٦: من ذاك الأبله المتحدث...؟

صوت ٧: ربما هو الذي أتوا به وهو يهذي..!

صوت ٨: أوسعه رجال الشرطة ضرباً وركلاً.

يانك: (بغفلة) لا بد أني كنت أحلم وكان ذلك الحلم هو الكابوس، لقد رأيت نفسي في قفص حديقة الحيوان، ولكني كما أعرف القردة لا تتكلم..! أليس كذلك...؟

(الأصوات تنطلق من جديد من الزنزانات)

صوت ١: أنت بالتأكيد داخل قفص..

صوت ٢: في قن ضيق.

صوت ٣: في حظيرة قذرة.

صوت ٤: في زريبة.

صوت ٥: في بيت كلاب..

(يتبع تلك الأصوات ضحك جاف، ثم صمت مع أصوات أخرى متتابعة)

صوت ٦: هيه... قل من أنت...؟

صوت ٧: أجب ولا بأس من الكذب..

صوت ٨: من تكون...؟

صوت ٩: قص علينا قصتك المحزنة..

صوت ١٠: ما فرع تخصصك في الجريمة..؟

صوت ١: لماذا اعتقلوك...؟

يانك: (يتحدث كالمغفل) كنت أعمل وقاداً، أضع الفحم في فرن إحدى سفن العابرات للمحيط..(يتحول كلامه الآن إلى حالة غيظ مفاجئ فيهز القضبان بثورة واضحة " أنا غوريلا...هل فهمتم...؟ سأدق أعناقكم إن لم تكفوا عن مضايقتي..

صوت ١١: عندما تبصق بصقتك تقفز كالكرة..

(ضحك من السجناء متواصل)

صوت ١٢: كفوا عنه إنه شخص لا بأس به (ينادي على يانك) ألست كذلك يا..(يسأل الذي بجواره) بماذا يسمي نفسه...؟

صوت ١٣: غوريلا...

(يضحكون من جديد)

يانك: (متحديا تلك الأصوات التي لا يرى أصحابها) نعم بالتأكيد.. وهل أنتم جميعاً إلا غوريلات...!؟

(فترة صمت يتلوها هز عنيف للقضبان على طول الممر مما يؤكد حالة الغضب)

صوت ١: (بحنق وغضب شديدين) ستعرف أينا الغوريلا يا حمار..!

(أصوات متداخلة) ش...ش.. اخسأ..

صوت منفرد: اسكت..

صوت آخر: مهلا....

صوت قوي: سوف تجعل السجان ينهال علينا..

يانك: (باحتقار) السجان...؟ ألستم تعنون حارس حديقة الحيوان...؟ (تتصاعد احتجاجات غاضبة من جميع الزنزانات)

صوت واضح: (مهدئاً) لا تبالوا بما يقول، لقد طاش صوابه من أثر التعذيب الذي تعرض له... (ثم ليانك) نحن متلهفون لكي نعرف السبب الذي من أجله قبضوا عليك.. من أجل رب السماء حدثنا...؟

يانك: بالطبع... سأحدثكم بالتأكيد، وماذا يمنعني من ذلك..؟ ولكنكم جميعاً لن تفهموني، إنه لا يفهمني إلا ذاتي فقط، هل تصدقون أني أخذت أروي للقاصي والداني روايتي، فلم يزد أحد على القول " شهر في السجن لكي تفكر وتكشف عن أفكارك، أفكر..! يا إله السماء..

وماذا كنت أفعل طيلة هذه الأسابيع سوى التفكير...! (بعد لحظة صمت) كنت أسعى للثأر لنفسي من شخص ما، .. مفهوم...؟ شخص بفعله لطخني بالوحل..

أصوات كثيرة: (في غير تصديق) نسمع ذات القصة القديمة ولا شك في ذلك، أليست هي عشيقتك.؟ ألم تخدعك...؟ ألم تخدعها...؟

يانك: (بازدراء) ألم أقل إنكم ستعجزون عن إدراك ما أرمي إليه وتتخبطون..؟ طبعا كان في القصة امرأة من الطبقة المترفة.. ولكن الأمر ليس كما تتصورون – ليس كما في القصة التافهة، لقد كانت امرأة من طراز آخر، كانت في أكمل زينتها، ثيابها بيضاء من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، هكذا رأيتها في عنبر الوقادين، لقد كنت أظنها شبحاً.. (تسود فترة صمت)

أصوات أخرى في همس مسموع) إنه ما يزال مخبولاً..!

صوت منفرد: دعوه يهذي بتلك القصص ففي الاستماع إليه متعة كبيرة.

يانك: (دون أن يهتم بهم، إنه يستجمع أفكاره، كمن يتابع امرأة تقف في مكان غير بعيد عنه) يداها – كانتا شديدتي النحافة، ناصعتي البياض كأنهما غير حقيقيتين بل كما لو كانتا رسماً على ورق، كانت تفصلني عنها ملايين الأميال وكل ساعة تضيف خمساً وعشرين عقدة، لقد بدت كفأر ميت أتى به قط، كما لو كانت جيفة لم

يكن لها مكان هناك، كان مكانها في واجهة زجاجية لبيع لعب أو فوق صندوق القمامة، مفهوم هذا الكلام...؟ (ثم بعصبية واضحة) ومع ذلك ربما لا تصدقون أنها تجرأت على إهانتي ولطختني بالوحل، لقد نظرت إلي كما لو كانت تنظر إلى حيوان هارب من حديقة الحيوان، يا إلهي كان يجب أن تروا عينيها في ذلك الوقت (يهز القضبان بغضب شديد) ولكن سترون أنني سأعاود البحث عنها وإن لم أظفر بها فسوف استخلص حقي من الذين يسايرونها، إني لأعرف الآن كل الذي يدور هناك، سوف أريها أينا الأصل، سوف أريها من منا المتحرك ومن منا غير المتحرك أشهدكم على قولي هذا..

أصوات متداخلة أخرى: انتقم منها بقوة.

صوت منفرد: وعلى كل حال من تكون تلك المخلوقة وما اسمها...؟

يانك: لا أدري.. كانت من ركاب الدرجة الأولى، يقال إن أباها مليونير.. اسمه دوكلاص..

أصوات كثيرة: دوكلاص..

صوت منفرد: إنه رئيس شركة الصلب.

أصوات كثيرة: لقد رأينا صورته في الصحف.

صوت منفرد: إنه ينام فوق الملايين.

صوت قوي: (من بعيد) عليك أن تسمع نصيحتي..

يانك: ماذا...؟

صوت قوي: إذا كنت تريد أن تنتقم منها فعليك الانضمام إلى ع. ص. ع... عندها تستطيع أن تنجز شيئا..

يانك: ومن يكون هؤلاء...؟

صوت قوي: ألم تسمع ب.. ع. ص. ع...؟

يانك: لا.. ولكن ما هو عملهم...؟

صوت قريب من زنزانة يانك: عصابة من الرجال الأشداء.(صوت من الجهة الثانية المجاورة لزنزانة يانك)

الصوت: كنت أقرأ عنهم في الصحف وذلك عندما أعطاني السجان نسخة من جريدة الصنداي تايمز، وكان قد نشر فيها عنهم معلومات كثيرة، كلام منقول من خطبة ألقاها في مجلس الشيوخ عضو اسمه السناتور مليكة (يسمع صوت حفيف ورق الجريدة) علي أن أجد من الضوء ما يمكنني من قراءتها عليك... استمع.. (يبدأ بالقراءة) هناك في هذا البلد خطر داهم يقوم على تهديد حياة جمهوريتنا العادلة، هذا الخطر لا يقل بشاعة في تهديده لصميم كيان النسر الأمريكي عن بشاعة المؤامرة التي حبكت أطرافها القوة الغاشمة والتي كانت آنذاك تستهدف نسور روما القديمة.

صوت ١: إلى حيث ألقت رحلها.،.

صوت ٢: قل له... رش الملح على ذنب ذلك النسر..

صوت ٣: هم إخوان الشياطين..

صوت ٤: محترفي الإجرام..

صوت ٥: القتلة... سفاكي الدماء..

صوت ٦: الذين يسيئون إلى العمال الشرفاء..

صوت ٧: الذين يروجون عن أنفسهم أنهم عمال الصناعة في العالم.

صوت ٨: أصحاب المكائد الدنيئة.

صوت ٩: مجموعة أدوات التخريب في العالم.

يانك: التخريب.؟! مرحبا بهذا الدواء الذي ليس بدونه شفاء.. أنا معهم.

صوت ١: ششششش.. (يقرأ من الجريدة) هذه المنظمة الشيطانية قرحة سرطانية في جسم جمهوريتنا الديمقراطية الجميلة.

صوت ٢: جمهوريتنا الديمقراطية..!؟

صوت ٣: تبا له...

صوت ٤: ابصقوا عليه يا رجال (الجميع يفعلون)

صوت ١: اششششش (يقرأ من الجريدة مرة ثانية) إني أقول مخاطباً هذا المجلس الموقر وكما خاطب كاتو مجلس الشيوخ في روما أن – ع. ص. ع. – يجب أن تجتث من جذورها فإنها بمثابة خنجر قاتل دائماً مصوب إلى أعظم أمة عرفها التاريخ، يولد الأبناء فيها جميعاً أحراراً متساوين تمنح لهم الفرص سواء وقد ضمن لهم الوطن والأجداد

السعادة، هنا وطن الحق والشرف والحرية والعدالة، هنا أخوة بني الإنسان، هنا دين يتشربه الرضيع مع اللبن الذي يحصل عليه من أمه ويتعلمه في حجر أبيه ويجده موقعاً ومصدقاً عليه ومختوماً في الدستور المجيد – دستور الولايات المتحدة (تنطلق عاصفة من الصفير والأزيز والتسخيف والضحك الخشن)

أصوات كثيرة متداخلة: (باحتقار) يحيا ٤ يوليو..

صوت ٢: (كمن يجمع التبرعات) مروا بالقبعة..

صوت ٣: تحيا الحرية..

صوت ٤: تحيا العدالة..

صوت ٥: يحيا الشرف..

(أصوات أخرى متداخلة) تحيا فرص العمل والحياة.. يحيا الإخاء..

صوت منفرد: (باحتقار شديد) إلى حيث ألقت رحلها..

صوت غليظ: انبحوا على هذا الدستور..

صوت ٦: لنكن كتلة واحدة.

صوت ٧: (وهو يضبط الإيقاع) واحد... اثنان... ثلاثة.. (يتصاعد نباح جماعي كنباح الكلاب)

السجان: (وقد جاء صوته من بعيد) اسكتوا وإلا أتيت بالخرطوم (صوت النباح يتوقف فوراً)

يانك: (بغضب شديد) ليتني أقبض على هذا السناتور ولو لدقيقة

واحدة، عند ذاك سأعلمه بعض الحقيقة..

صوت ١ : أششششش، (يأخذ في تفصيل الحالات الموجودة وهو يقرأ من الجريدة) إنهم يتآمرون كما لو كانت النار في يد والديناميت في اليد الأخرى، إنهم لا يتورعون عن القتل في سبيل تحقيق أهدافهم لا ولا عن هتك أعراض النساء العزل، إنهم يودون أن يقوضوا دعائم المجتمع ويجعلوا أراذل الناس محل أكابرها ويخططون لقلب نظام الحكم العالمي رأساً على عقب، يودون أن يحولوا مدينتنا الوادعة الوارفة بالأمان إلى مدينة مجازر ثم يجتاحها الخراب الكبير الذي سرعان ما يرتد فيه الإنسان عن المبادئ، الإنسان الذي أبدعه الله في أحسن الصور والتقويم، يتحول إلى غوريلا يسقط في أسفل السافلين..

صوت ٢ : (موجها الحديث إلى يانك) ماذا ترى يا أخ...؟ إليك أيضاً مزيداً من المعلومات عن الغوريلات..

يانك: (غاضبا وهو يزمجر) أفهم ما يقول... هكذا إذن هم ينسفون الأشياء نسفاً ويقلبونها قلباً... أليس كذلك...؟ أعرني هذه الجريدة... هل تسمح..؟

صوت ٣: طبعا أعطه إياها... ولكن على شرط أن تحتفظ بها لنفسك، أما نحن فلا نريد أن نسمع المزيد من هذه السخافات المكتوبة..

صوت ١ : هاك الجريدة... ولكن بحذر اخفها تحت الفراش..

يانك: (يمد يده ليأخذ الجريدة) إني لا أحسن القراءة ولكني سأحاول (يجلس والجريدة في يده على غرار جلسة المفكر رودان – لحظة صمت ثقيلة يسمع بعدها شخير يتصاعد من الزنزانات الأخرى، وفجأة يقفز يانك واقفاً على قدمه وهو يتأوه بغضب وكأنه قد تذكر خاطراً بشعاً تمكن من أن يلقي في روعه ذكريات مشوهة) حقاً والدها – رئيس شركة الحديد والصلب، وهو الذي يصنع الحديد والصلب لنصف العالم، ذلك ويحبسني في قفص منه لكي تبصق علي، يا للّه (يهز قضبان الزنزانة فتهتز جميع الزنزانات الأخرى – نسمع كذلك صيحات احتجاج تتصاعد من الذين استيقظوا من نومهم وكذلك من الذين كانوا يحاولون النوم) لقد صنع هذا القفص من الصلب، الصلب لا مكان له ولا خير منه، تتشكل منه الأقفاص والسجون والأقفال والمتاريس والحواجز والقضبان، هو الذي يعتقلني فيها ويجلس على قمتها متباهياً، ولكني سوف أنفذ منها بالنار، النار تذيب كل هذا، سوف أكون أنا النار – النار التي تأتي من تحت الهشيم، النار التي لا تخبو أبداً، نار حامية كالجحيم – النار التي تتوهج في الليل (يانك يقول كل جملة ويتبعها بهزة عنيفة لباب الزنزانة حتى إذا وصل إلى موضع الهرب قبض على قضيب بيديه وشد بقدميه على القضبان الأخرى فأصبح في وضع مواز للأرض مثل الوضع

الطبيعي للحيوان القرد – ويبدأ بانتزاع القضيب إلى الخلف فيلتوي القضيب بفعل قوته الجبارة كأنه عصا من الخيزران، وفي تلك الأثناء يهرع إليه السجان يجر خلفه خرطوم المياه)

السجان: (بغضب شديد) كيف تجرؤ أيها الوغد على إيقاظي، الموت لك..(يرى يانك واقفاً أمامه وبسخرية واضحة) هلو... أهو أنت..؟ هو هو أأنت مصاب بإمراض الإدمان..؟ سأعالجك منها، سأشفيك من ذلك الصرع والجنون الذي يسكن عقلك (يلاحظ قضيب الزنزانة المثنى) أعوذ بالله.. كيف تم ثني هذا القضيب، لا يقدر على ثنيه سوى بطل جبار..

يانك: (ينظر إليه باحتقار) أو غوريلا كثيف الشعر يا جبان، احذر ها أنذا خارج إليك (يعالج قضيبا آخر، السجان وقد استولى عليه الرعب ينطلق بصياح عظيم موجها صوته إلى جهة اليسار)

السجان: يابن.. أفتح خرطوم الماء على الآخر واستدعِ الآخرين معك وأحضر بدلة المجانين.

(ستارة المسرح تهبط بينما يحتجب يانك عن النظر، يشاهد سيل الماء وهو يتدفق بشدة ويتناثر وهو يصطدم بحديد زنزانة يانك)

المشهد السابع

تدور الأحداث بعد مرور فترة زمنية تقدر بشهر، بالقرب من فرع المنظمة الدولية لعمال الصناعة والتي يقع مقرها بالقرب من الشاطئ الذي يظهر منه المجال الداخلي للغرفة الأمامية والتي تقع في الطابق الأرضي، الشارع الضيق الذي خارجها ينيره ضوء القمر كما تبدو المباني متراصة متلاصقة ولها ظلال داكنة، الغرفة من الداخل قد تم ترتيبها لتكون مكاناً مناسباً لعقد اجتماعات الجمعية العمومية كما تستخدم كمكتب لتحرير القرارات وأيضا غرفة مطالعة تشبه منتدى في حي شعبي، يوجد في إحدى زوايا الغرفة كرسي طويل الأرجل وطاولة صغيرة، الكرسي من النوع الذي ليس له ظهر، وفي وسط الغرفة منضدة كبيرة عليها أوراق وأكداس من الكتيبات وحولها عدد من الكراسي، الجو العام في الغرفة يوحي بالرخص والرداءة وانحطاط المستوى كما يؤكد ترتيب الأثاث على خلو المنظر من الذوق اللافت للنظر ومن الغموض الذي يشحذ الخيال، سكرتير فرع المنظمة الدولية لعمال الصناعة جالس على الكرسي العالي وأمامه دفتر كبير يدون فيه القيود المحاسبية، وهو يلبس حاجباً لحماية عينيه من الضوء فيظهر ذلك لوجهه خيالات على الجدران، ثمانية أو عشرة رجال، هم حمالون وعمال مصانع الحديد وفي

مهن أخرى، جميعهم يجلسون حول المنضدة، اثنان منهم يلعبان الداما وآخر يكتب رسالة، جميعهم يدخنون الغليون وثمة لافتة معلقة على الجدار الأقصى نقرأ منها الآتي (المنظمة الدولية لعمال الصناعة الفرع رقم ٥٧) يظهر يانك وهو يمشي في الشارع خارج المبنى مرتديا نفس الملابس التي كان يرتديها في المشهد الخامس وهو يتحرك بحذر كالذي لا يعرف الطريق، يصل إلى نقطة مقابل الفرع ويسير على أطراف أصابعه متجها إليه، ينصت فيبهره السكون في الداخل، يدق على الباب بحذر شديد وكأنه يخمن كلمة السر التي لابد منها للدخول على احتفالات طقسية، يستمع إلى الرد لكن يبدو له لا جواب يأتي من الداخل، يدق الباب ثانية وبشكل أعلى قليلاً من السابق..

السكرتير: (وهو يستدير على كرسيه العالي) اللعنة، ما هذا – من يدق الباب..؟ (يرتفع صوته) ادخل الباب مفتوح (الرجال الجالسون في الغرفة يرفعون أبصارهم، يانك يفتح الباب ببطء وتعثر، يبدو كالخائف من الوقوع في كمين، ينظر من حوله مفتشاً عن أبواب سرية وأسرار خفية يجزع من قتامة الغرفة والجالسين فيها، يخيل إليه أنه ربما أخطأ المكان الذي يقصده حتى يرى اللافتة الموجودة على الحائط فيطمئن)

يانك: (يخرج من فمه الكلام كالهواء المضغوط) هالو..

الرجال: (جميعهم بتحفظ شديد) هالو..

يانك: (متخلصاً قليلاً من حالة الحرج) ظننت أنني ربما دخلت في مخبأ غير الذي كنت الذي كنت أقصده.

السكرتير: (متفحصا إياه بدقة) ربما... هل أنت عضو..؟

يانك: لا.. ليس بعد.. وهذا ما جئت من أجله، جئت في الحقيقة لأنضم إلى..

السكرتير: أمر بسيط.. ما عملك..؟ هل أنت حمال...؟

يانك: لا.. أنا وقاد..

السكرتير: وقاد..؟

يانك: نعم، أعمل على ظهر إحدى بواخر الخطوط الثابتة.

السكرتير: (بشيء من الرضا) أهلا بك في مدينتنا، شيء سعيد أن ندرك أن البحارة أخيرا قد هبوا من سباتهم، ليس في منظمتنا أعضاء كثيرون من البحارة.

يانك: كلهم ما يزالون يغطون في سبات عميق.

السكرتير: تقع عليك مهمة إيقاظهم.

يانك: (يلتزم الصمت)

السكرتير: (بعد فترة صمت) ما اسمك..؟ لكي أصدر لك بطاقة.

يانك: (مرتبكا) اسمي...؟ دعني أتذكر..

السكرتير: (بحدة) تتذكر اسمك...!؟ هل نسيته..؟!

يانك: طبعاً لا، ولكنني منذ مدة طويلة ينادونني يانك بوب، الآن بدأت أتذكر جيدا، بوب سميث..

السكرتير: (وهو يدون الاسم) – بوب سميث (ثم يملأ بقية البطاقة) تفضل، رسم الاشتراك نصف دولار.

يانك: أهذا كل المطلوب...؟ أربعة قطع...؟ بسيطة (يناوله النقود).

السكرتير: (يلقيها في درج) شكرا.. الآن خذ راحتك تستطيع أن تعتبر نفسك في بيتك، لا ضرورة لتقديمك إلى الموجودين هنا (يشير بيده) هناك نشرات إعلامية على المنضدة، خذ من هذه الكتيبات الكمية التي تستطيع حملها لتقوم بتوزيعها على زملائك من الذين يعملون في الباخرة، ، قد نحصل على ثمرة من وراء ذلك، قم أنت ببذر البذور ولكن عليك بالحذر والحيطة، لا تدعهم يكشفون أمرك ويفصلونك، لدينا الكثير من المتعطلين عن العمل، إنما نحن نريد رجالاً يمكنهم الاحتفاظ بأشغالهم ويستطيعون في ذات الوقت أن يخدموا قضيتنا التي نعمل من أجلها.

يانك: هذا مؤكد (يانك ما يزال واقفاً وفي ذات الحرج والتردد السابق).

السكرتير: (ينظر إليه بشيء من الاستطلاع) لماذا طرقت الباب..؟ هل كنت تتصور أن عندنا موظف يرتدي بدلة رسمية مهمته فتح الباب..؟

يانك: لا ، ولكن تبادر إلى ذهني أن الباب مقفل، وأنك كنت تحب أن تلقي علي نظرة من خلال ثقب الباب لتتأكد من أنني مقبول..

السكرتير: (وقد تصاعد لديه الحذر والتشكك ولكنه يضحك بغير

تكلف) هل تصورت أننا نلعب لعبة غير مشروعة..؟ من الذي أدخل هذه الظنون في عقلك..؟ هذا الباب لا يغلق قط..

يانك: (بابتسامة العارف المقتنع بأن كلام السكرتير ليس إلا محاولة للتمويه وجزء من اللعبة السرية) البلد كما اعتقد تعج بالمخبرين..أليس كذلك..؟

السكرتير: وما شأنهم بنا...؟ نحن لا نخرق القوانين...!

يانك: (بغمزة عين كالعارف ببواطن الأمور) أكيد..! أنتم لا تفعلون ذلك ولو أعطيتم الدنيا ، هذا أكيد ، أنا أعلم ذلك..!

السكرتير: يبدو أن لديك اطلاع على أشياء كثيرة لا يعلم أحد منا عنها شيئا.

يانك: (من خلال غمزة عين أخرى) صحيح، تمام (وقد بدأ الغضب يتصاعد لديه من خلال نظرات الشك التي يتابعه بها جميع من حوله) معقول...؟ لا داعي لكي تضعني في موضع الاختبار القاسي، ألا ترى أنني أنتمي إليكم...؟ أنا واحد منكم...؟ أكيد هذا... أنا نظامي... أنا صامد لا أتراجع.. هل تفهم ما أقول...؟ أنا مستعد لإطلاق النار على المصانع إذا شئتم، ولهذا أريد أن أنضم إليكم...

السكرتير: (في خفة روح مستدرجاً إياه) هكذا الروح العالية وإلا فلا..! ولكن أولاً هل أنت متأكد أنك تفهم بدقة طبيعة ما انضممت إليه..؟ كل الأمور هنا واضحة وضوح الشمس

ودائما نحن نتحرك في ضوء النهار، لا توجد لدينا أمور سرية ولا نحاول التخفي ومع ذلك يحلو للبعض أن يفسروا الأمور بشكل خاطئ ويتسببوا في سوء فهم مقاصدنا، لدي سؤال، ما هو تصورك عن الغرض من وجود المنظمة الدولية لعمال الصناعة..؟

يانك: أعرف كل شيء عنها..

السكرتير: (بتهكم) إذن أعطنا نموذجا من معلوماتك القيمة.

يانك: (بمكر واضح) أعرف مايكفي ليجعلني لا أتكلم في غير دوري (ثم غاضبا مرة أخرى) اسمعني..! أنا نظامي وأعرف اللعبة، أعرف أن عليكم أن تكونوا حذرين مع الأغراب، فما يدريكم أنني ربما أكون مخبراً سرياً أرتدي ملابس مدنية، أو شيئاً من هذا أليس هذا ما تظنون بي...؟ الآن دعك من هذا يا رجل، ألا ترى أنني أنتمي..؟ اسأل من تشاء من حدود هذا المكان وحتى رصيف الميناء..؟ إذا قالوا شيئا غير ما قلت..

السكرتير: ومن قال إنك غير هذا..؟

يانك: وسوف أبرهن لك بعد أن آخذ العهد.

السكرتير: (بذهول شديد) العهد..!؟ نحن لا نعطى عهوداً ولا نقيم طقوساً معينة.

يانك: (وقد أصيب بخيبة أمل كبيرة) لا عهود ولا كلمة سر ولا شد على الأيدي ولا شيء..!؟

السكرتير: ماذا تظن بهذه المنظمة...؟ هي ليست رابطة الألك أو عصابة الكف الأسود

يانك: رابطة الألك عليهم اللعنة أبداً، وعصابة الكف الأسود ما هم ألا قطيع من الخنازير دائماً ترى مؤخراتهم الوسخة.

السكرتير: أحسنت، أما نحن فنقف على قدمينا علناً أمام الملأ ولا نفعل شيئاً في الخفاء.

يانك: (بدهشة وتعجب) هل معنى كلامك أنكم تعملون في وضح النهار مثل هذا..؟

السكرتير: تماما...

يانك: إذن بالتأكيد لديكم أعصاب قوية.

السكرتير: قل لي بالضبط ما لذي جعلك ترغب في الانضمام إلينا..؟ أجب بصراحة ووضوح..

يانك: تريد الصراحة مني..؟ حسناً.. أنا أيضا أعصابي قوية.. هاك يدي.. تفحصها.. ألستم تريدون أن تحطموا الأشياء..؟ وأنا كذلك.. أنا منتمٍ..

السكرتير: (بشيء من عدم الاهتمام) هل تقصد تغيير حالة عدم المساواة في المجتمع بالعمل المشروع المباشر أو بالديناميت..؟

يانك: بالديناميت..! ننسفها من على ظهر الأرض، الصلب الذي يدخل في بناء المصانع وجميع السجون وكذلك البواخر والمباني ذات الحديد والمعتقلات السرية، هيئة الحديد

والصلب وكل حديد يسير أو يطير.

السكرتير: هذه إذن فكرتك..!؟هل لديك مهمة خاصة في هذا المشروع تريد أن تقترحها أو تتحدث عن تفاصيلها..؟ (يصدر إشارة خاصة إلى الرجال فيتجمعون خلف ظهر يانك دون أن يشعر)

يانك: (بجسارة واضحة) نعم سأظهر لك ما يدور بعقلي، أنا واحد منكم، هل تعلم مثلاً ذلك المليونير دوكلاص..؟

السكرتير: تعني بكلامك رئيس هيئة الحديد والصلب..؟

يانك: نعم هو..

السكرتير: هل تريد قتله..؟

يانك: لا.. لا أرى في ذلك فائدة، إنما أنا أرى من الواجب أن تنسف المصانع والورش ومواقع تصنيع الصلب والحديد لكي يتطاير كل ما في هذا العالم إلى سقف السماء، أرى أن في ذلك حماية للعالم والبشرية (ثم بحماسة طاغية وبشيء من التظاهر بالشجاعة الكبيرة) سأفعل تلك الرغبة بمفردي فقط أرشدني إلى المكان الذي تقع فيه الورشة، وكيف أصل إليها وساعدني بكل ما يلزم، قدم لي الديناميت وبقية التفاصيل أَقُم بالتفجير بمفردي، ستشاهدونني وأنا أفعل ذلك، سترون الدخان وهو يصل إلى سقف السماء، أنا لن أخاف إذا قبضوا علي بعد أن أكون نفذت ما أفكر فيه، أعلم أنني سأوضع في السجن مدى الحياة، ولكني

سأضحك منهم ملء شدقي (وكأنه يكلم نفسه) وسأكتب لهم خطاباً أقول فيه: الغوريلا نفذ أفكاره، بهذا أرد لها الصاع صاعين..

السكرتير: (مبتعدا عن يانك عدة خطوات) شيء عظيم جداً.. (يصدر إشارة إلى الرجال وكأنهم وحوش يلقون بأنفسهم على يانك ويطرحونه أرضاً وفي لمح البصر يقيدون رجليه وذراعيه، يبدو يانك في حالة من الإعياء لا تمكنه من المقاومة، يفتشون ملابسه وجسده بحثا عن أسلحة).

أحد الرجال: لا يوجد لديه مسدس وكذلك لا يحمل سكيناً.

رجل آخر: هل تريدون أن نضربه بالحذاء..؟

السكرتير: لا، إنه لا يساوي المتاعب التي سنعرض لها أنفسنا بسبب هذا النكرة، أنه أغبى من ذلك (يقترب من يانك ويضحك مستهزئاً في وجهه) ها.. ها.. هذه آخر مزحة يوجهونها لنا منذ أن بدأت المواجهة معهم...! يا حضرة النكتة أيهما دفعك ضدنا..؟ بيرنز أو بنكرتون...؟ أراهن أنك من الذين يعملون في المخابرات السرية...! حسنا أيها الجاسوس القذر..! حسناً أيها العميل المحرض النتن، ارجع إلى الوغد الذي غدر بك ودفع لك المال مقابل فعل الخيانة هذا.. قل له بوضوح أنه يبدد ماله هباء، أنت أضعف من مواجهة قطة، وقل للذي أرسلك، إننا نحتقر تلك المؤامرات الهزيلة التي يدبرها لكي يزج بنا في السجون، نحن لسنا إلا ما يقوله

عنـا إعـلان مبادئنـا لا أكثـر ولا أقـل، ونحـن مـستعدون أن نرسـل لـه نـسخة مـن الإعـلان في أي وقـت يريـد أن يـشرفنا بالزيـارة، أمـا أنـت (يحـدق باحتقـار في يانـك الـذي يبـدو كالذي سقط في غيبوبة أنساه تأثيرها كل شيء) لا فائدة من الكلام معك، فما أنت إلا غوريلا بدون عقل (الكلمة الأخيرة تستفز يانك ويحاول المقاومة العنيفة لكنه يبدو أضعف من ذلك) ما هذا أيها الغشاش..؟ ألقوا به خارج المكان، رموه في الشارع (بالرغم من المقاومة التي يبديها يانـك لكـن الرجـال يتمكنـون مـن رميـه في الـشارع وهـم يـشعرون باسـتمتاع مـن جـراء تنفيـذ تلـك المهمـة، وبعـد أن تشيعه عدة ركلات يتدحرج جسمه حتى يستقر في وسط الشارع الضيق المبلط بالحصى، إنه يفترشه ثم يقوم بإصدار عواء كعواء الوحش ويحاول النهوض واقتحام الباب المغلق، لكنـه يقـف مكتـوف اليـدين بـسبب الارتبـاك الـذي حـل بذهنه فيجلس من العجز الذي يثير الإشفاق، يجلس مطرقاً في حالـة تقـرب مـن هيئـة لوحـة – المفكـر – للفنـان رودان وذلك بقدر ما يسمح به وضعه الجسماني.

يانك: (بمرارة وسخرية عميقة) حتى هؤلاء عباقرة الزمان أيضاً لا يعتقـدون أنـي أنتمـي إلـيهم، فليـذهبوا إلى الجحـيم.. سـتلاحقهم اللعنـة... هـم جـيش الـدجل وصـناديق الـصابون الفارغة، أصحاب الخطب العقيمة، الجبناء طراً، سأكون

في غاية السعادة لو أنقصوا ساعة من ساعات العمل اليومي..! سأكون سعيداً لو رفعوا أجري دولاراً في اليوم، آه..ثلاثة دولارات في اليوم وقرنبيط في الحديقة، وحقوق متساوية وامرأة وأطفال، وصوت مزعج في الانتخابات، وبعد هذا سأكون في غاية الشكر والحمد للمسيح، هه...؟ ما قيمة كل ذلك..؟ سر المشكلة في داخلك ولكنه ليس في بطنك، حشو بطنك بالطعام والشراب لا يمسه، لا يمس الشيء الذي بداخلك، إنه غائر عميق، في القاع لا تستطيع أن تمسك به ولا توقفه، يتحرك فيتحرك كل شيء، وتقف فتقف الدنيا كلها، هكذا أنا الآن، جثة هامدة لا حراك فيها، أنا مثل بالون انجرسول بعد أن انفجر، كنت صلباً فملكت العالم وعندما انكسرت ملكني العالم، اللعنة، اللعنة على هذا الحظ لقد فقدت الرؤيا لا أرى سوى ظلام دامس، أتفهمني يا يانك..؟ (يدير وجها يقطر بالمرارة والتهكم إنه يبدو كقرد يحاور القمر بكلام متداخل كأنه رطانة) أسمع يا من هناك، يا من في السماء، أنت تبدو حكيماً فهلا تجيبني على سؤالي...؟ زودني بالبصيرة والمعلومات السديدة... إلى أين أذهب من هنا..؟

شرطي: (يصل الشرطي إلى مقربة منه عندما يطرح يانك السؤال الأخير، فيقول له بنبرة مزاح ثقيل) عليك أن تذهب إلى مخفر الشرطة يا غبي، إذا لم تنهض واقفاً على قدميك

وتتحرك من هنا..

يانك: (ينظر إليه بوجه جامد القسمات مصطنعاً ابتسامة مرة (أكيد هذا ، اسحبني، أرجوك ضعني في القفص..! لا اعتقد أن لديك غير هذا الجواب الوحيد على كل مشكلة.. تفضل احبسني..!

الشرطي: ماذا كنت تفعل..؟

يانك: فعلت فعلاً استحق عليه السجن مدى الحياة..! ولدت في هذه الدنيا ، هل تفهم معنى هذا الفعل..؟ هذه هي جنايتي وجريمتي دونها في دفتر العقوبات، لقد ولدت في المكان الخطأ والوقت القاتل.. افهمني أرجوك..!

الشرطي: (بمزاح ثقيل أيضاً) كان الله في عون أمك.. (ثم بلهجة عادية) اسمع ليس لدي الوقت للمزاح، يبدو أنك مخمور، لولا أن الطريق طويل إلى مخفر الشرطة لأخذتك قسراً إليه، هيا الآن، انهض يا غبي وإلا أوسعتك ضرباً بهذه (ملوحا بالهراوة التي يحملها في يده) هيا أنهض وقف على قدميك..! (يانك ينظر إليه بشيء من الخوف، الشرطي يجبره على الوقوف على قدميه).

يانك: (في لهجة تبدو غير مفهومة وفيها من السخرية الشيء الكثير) قل لي إلى أين أذهب عندما أترك هذا المكان...!؟

الشرطي: (يدفعه ويطلق في أثره ضحكة غير مبالية وهو يقول) تذهب إلى الجحيم ليس إلا...

المشهد الثامن

بعد مرور يوم واحد في وقت الغروب حيث الشفق يبدو بوضوح بالقرب من بيت القردة الموجودة في حديقة الحيوان، ثمة بقعة من الضوء الرمادي الصافي ساقطة على مقدمة أحد الأقفاص وجودها يسمح لنا برؤية ما بداخله، بينما يلف بقية الأقفاص غموض وضوء قليل كما تأتي منها أصوات على شكل همهمات تأخذ شكل مقاطع من الحديث غير الواضح، وعلى القفص المضاء لافتة تبرز فيها كلمة غوريلا، بينما يجلس حيوان الغوريلا القرفصاء على مقعد وهو يتخذ شكل جلوس المفكر للفنان رودان وعندما يدخل يانك من جهة اليمين تنطلق الكثير من الهمهمات والحركات الحيوانية الغاضبة، الغوريلا يدير ظهره فيما حوله متفحصاً المكان لكنه لا يأتي بصوت أو حركة.

يانك: (بضحكة مريرة فيها الكثير من الجفاف) هكذا ترحب بك المدينة التي تنتمي إليها !، أهلاً، أهلاً ومرحباً، هاهي المجموعة كلها هنا (لدى سماع صوت كلماته تتلاشى أصوات الهمهمات ويعقبها صمت طويل ثقيل ممزوج بترقب حذر، يتحرك يانك نحو قفص الغوريلا وينظر إليه وهو يتكئ على القضبان، إنه يبادله النظرات في صمت

وسكون، ثم يبادر للحديث معه بود حميم وكأنه يفضي بسر خطير، ثم في لهجة فيها الكثير من الهزل ولكنها لا تخلو من تفهم عميق لبواطن الأمور) جسمك قوي كالحديد، كم شاهدت من فتية أشداء يطلقون عليهم اسم غوريلا، يا لله..! لكن الحق يقال إنك أول غوريلا حقيقي من لحم ودم أقابله، ياله من صدر رحب وأكتاف عريضة..! وهذان الذراعان وتلك القبضة الحديدية..! أنا متأكد بضربة واحدة، أو بلكمة واحدة تستطيع أن تطرحهم جميعاً على الأرض (يقول حواره الأخير بإعجاب خالص، الغوريلا الموجود داخل القفص ينهض واقفاً على قدميه وقد بدأ يشعر بأهميته، إنه يعمد إلى الضرب على صدره بقبضته إذ يعلو وينتفخ، لكن ثغر يانك يفتر عن ابتسامة فيها مشاركة) أنا أفهمك، أنت تتحدى العالم أجمع.. أليس كذلك..؟ لقد فهمت بسرعة ما كنت أقوله لك وإن كنت قد أحجمت في ردك (تتسرب إليه المرارة) وهل هناك ما يمنع من أن تفهمني...؟ ألسنا عضوين في نفس النادي..؟ أقصد نادي القردة الكثيفة الشعر (كل منهما ينظر إلى الآخر ثم يواصل يانك التحاور مع الغوريلا في بطء ومرارة) إذن أنت الذي رأتك هي حين نظرت إلي، رأتك في صورتك ذات الوجه الممتقع البياض..! في عينيها أنا كنت أنت، أتفهمني..؟ فيما عدا أنني خارج القفص طليق حر

أستطيع قتلها، هذا الذي هي كانت تعتقده، لم تكن تدرك أنني أيضا في قفص أضيق من قفصك وألعن بالتأكيد، أنت لديك فرصة أن تحطم القضبان وتهرب من هذا السجن، أما أنا (تبدو عليه نوبة اضطراب) اللعنة عليهم، ظلم في ظلم، أليس كذلك..؟ (يتوقف عن الكلام لفترة قصيرة) هل تريد الآن أن تعرف ماذا أفعل هنا...؟ لقد جلست على مقعد وتسمرت فيه منذ ليلة أمس، رأيت الشمس تطلع، كان ذلك شيئاً جميلاً، رأيت كل الألوان، الأحمر، الوردي، الأخضر، لقد نظرت باهتمام إلى ناطحات السحاب، كلها كانت من الحديد والصلب، كما رأيت البواخر القادمة إلى الميناء والتي تغادره إلى موانيء العالم الأخرى هي أيضاً كانت من الحديد والصلب، هل تدرك حرارة الشمس التي تحرق الوجوه وتجعل الغشاوة تسيطر على النظر، لم يكن هناك سحاب، وعندما هب النسيم كان أعظم شيء يحدث، هل تدري أن بادي كان صادقاً عندما تحدث عنك، أتذكر الذي قاله عنك، لكني لم أستطع أن أهضم علمه، ولم أنتم إلى علمه، كان الذي يقوله يعلو فوق إدراكي، لقد مر زمن علي وأنا أفكر واحلل، ثم دفعتني هواجسي لكي أتوجه إلى هنا لكي أرى عن كثب هيئتك وكيف تبدو، لقد بقيت مرابطاً في مكاني حتى انصرف الجميع وهكذا

وجدتك لوحدك لكي أتحاور معك على انفراد ، أريد أن أعرف شعورك وأنت قاعد بشكل دائم في هذه الحظيرة ، في هذا القفص، وكيف عليك أن تقف إذا جاءوا للفرجة عليك والتسلي بمنظرك، لقد رأيت الذين كانوا يحيطون بك من أصحاب الوجوه البيضاء المتقعة، وكذلك النساء العاهرات الهزيلات يحيط بهن أزواجهن المغفلون، الغريب في الأمر أنهم كانوا ينظرون إليك كمصدر للتسلية والضحك المترادف مع الخوف والانزعاج منك، اللعنة على تلك الوجوه (يدق يانك على القضبان، يصبح الغوريلا داخل حالة إثارة كبيرة يكشر عن أنيابه بشكل عدواني وتسري تلك الحالة إلى جميع القردة وتتحول إلى همهمة غاضبة مكبوتة) الشي الأكيد الذي يقض مضجعي دائما أنكم معشر الغوريلا محظوظون، هل تعرفون لماذا..؟ لأنكم لا تنتمون إليهم، لابد أنكم تعرفون تلك الحقيقة المطلقة ، والعكس في الجانب الذي أعيش فيه، أنا أنتمي إليهم ولا أنتمي أيضاً، هل تفهم يا غوريلا ما أقول..؟ هم أيضاً يشعرون أنهم لا ينتمون إلى يانك، هذا هو الوضع المحير والصعب والغريب، هل بدأت تفهمني (يمرر يده على جبهته وكأنه يعاني من الألم، الغوريلا يطلق أصواتاً غاضبة بينما يواصل يانك البحث عن كلمات مناسبة لذلك اللقاء) عليك أن تجلس في مكانك وتسبح في أحلام الماضي، تستعيد

تفاصيل حياتك في الغابة تتذكر المروج وغير ذلك، وهنا تدرك أنك تنتمي وهم لا ينتمون، هنا تستطيع أن تجعل منهم أضحوكة نادرة هل تفهم يا غوريلا ماذا أقصد..؟ سيعترف الجميع ويهتفون أنت بطل العالم، وعندما أقارن نفسي مع الذي أقف أمامه لا أجد الماضي ولا المستقبل ولا ما يربطني إلى هذه اللحظة، لا انتماء عندي، أنت بالفعل الأحسن حالاً لأنك لا تستطيع أن تفكر أو تعبر أما أنا فأستطيع القيام بذلك، أوهمهم بوسائل التعبير وأكاد أن يصدقونني، ومن هنا تبدو الأشياء كما لو كانت مزحة ثقيلة، أشعر أنني لا أستقر في الأرض أو في السماء، معلق بين الاثنين أحاول الفصل بينهما، ذلك يجعلني أتلقى الضربات من كليهما، أنا في الجحيم وأنت في الحضيض ولكنك تنتمي، أنت محظوظ، (الغوريلا يطلق صوتاً يبدو متفاخراً) ربما الخوف منك وضعك في قفص (الغوريلا يزأر غاضباً) بدأت تفهمني.. هل يخاطرك الشعور بالعجز والفشل..؟ فكر فيها كما أنا أفكر، وعبر عنها كما أنا أعبر، لقد صارت بعيدة تستقر في الأعماق، ولكن أنا وأنت فقط نستطيع أن نعبر عنها ونفهمها، كلانا له الحضور المرموق في هذا النادي..! (يطلق ضحكة ساخرة ومريرة ثم يواصل بذات النبرة) اللعنة عليهم جميعاً.. تقول ما العمل..؟ القضية في غاية البساطة، ثمة قرار يوفر لنا النجاة والخلاص،

نصرعهم ونظل ندق أعناقهم بقوة وعنف شديد حتى يلفظوا أنفاسهم، نضربهم بالرصاص، نقاتلهم بالحديد والنار، هذه هي وسائل الخلاص، هل تملك الشجاعة..؟ لقد وضعوك هنا في قفص لتصبح نموذجاً للفرجة والسخرية، هل تود أن تأخذ بثأرك منهم..؟ هل تريد أن تنهي حياتك بطلاً...؟ هل تريد أن تغادر هذا الموت البطيء هنا..؟(الغوريلا يطلق الأصوات الغاضبة القوية بينما يواصل يانك الحديث الذي يدعوه إلى التمرد الوحشي) أنت نموذج نظامي وتستطيع الصمود إلى النهاية، أنا وأنت نستطيع، كلانا عضو في هذا النادي.. تحرك ودعنا نقوم بتلك المهمة التي تطوح بهم من فوق مقاعدهم، ربما سيضطرون فيما بعد لصنع أقفاص أشد صلابة من هذه (الغوريلا يعالج القضبان بقوة وغضب شديد، إنه قد دخل مرحلة الهيجان والجنون يقفز على قدم ثم أخرى، يانك يبادر لمعالجة قفل القفص بمفك صغير يخرجه من تحت معطفه، يتمكن من كسر القفل الموجود على الباب، ينفتح باب القفص) أعتذر لمأمور الحديقة عن هذا الفعل، اخرج يا غوريلا من القفص ودعنا نتصافح، سأحقق لك كل رغباتك، سآخذك في نزهة إلى الشارع الخامس بنيويورك، سنغني الأغنيات المكتومة مع الفرقة العازفة، تعال يا أخي (الغوريلا يخرج من داخل القفص ويتجه نحو يانك، ينظر إليه في غضب كبير، يانك

مستمراً في حواره الساخر وقد مد يده ليصافح الغوريلا) صافحني يا صديقي، هذه القبضة السرية لأعضاء تنظيمنا (شيء ما يحصل ويغيظ الغوريلا بشكل كبير فيقوم بحركة مفاجئة يقفز فيها ويلف ذراعيه القويتين حول يانك، إنه يحتضنه ولكن بشكل قاتل، على أثر ذلك تنطلق من يانك صرخة قوية مدوية يسمع على أثرها صوت تكسر عظام صدره تتبعها شهقة موت لكن يانك ما يزال ساخراً في حواره) على مهلك يا صديقي لم أطلب منك أن تقبلني (الغوريلا يترك الجسم المهشم يسقط من بين قبضته إلى الأرض ويقف للحظة عند رأس يانك متردداً مفكراً، ثم يلتقطه ويزج به إلى داخل القفص ويغلق الباب عليه، ثم يغادر نحو اليسار متوارياً وهو يطلق صوتاً ضعيفاً ينذر بالخطر في ذلك الظلام، الصخب يزداد في الأقفاص الأخرى وهو يمثل هياج القردة الخائفة، يانك يتحرك وهو يطلق الأنين، يفتح عينيه متفحصاً المكان ثم يتمتم بشكل يكشف عن ضعف كبير) يجب أن يأتوا له بغوريلا مماثل يكون نداً له، أعترف أنه قد هزمني لقد انتهيت (ثم يتحول صوته إلى نبرة فيها الكثير من الأسى المفاجئ العنيف) إلهي إلى أين تقودني أقدامي...؟ إلى أين أتجه...؟ أين هو المكان المناسب لي (رغم الضعف والألم هو يحاول التصلب والتظاهر بالقوة) ياله من جحيم أدخله بقدمي، هل أستسلم

للخـوف...لا.. لقـد علمـوني لا تراجـع ولا تخـاذل ولا خـوف.. أمـوت هنـا وأنـا أقـف علـى قـدمي (يقـبض بقـوة علـى قـضبان القفص، يحاول بما تبقى له من جهد الوقـوف علـى قدميـه، ثم يلتفت إلى جميع الجهات وقد دخلت عليه الحيرة والخـوف لكنـه يـضحك بـسخرية مريـرة وقـد أدرك سـر وجـوده في القفص) أنا في القفص... نعم أنا وليس هو... أنـا في القفـص.. (ثـم كمـذيع الـسيرك يعلـن وقـد صـار صـوته أقـرب إلى نـبرة النباح) سيداتي سادتي ا خطوة واحدة إلى الأمام لتنظروا إلى الغـوريلا الوحيـد والأصـلي الـذي جلـب مـن غابـات ال... (يضعف صوته ثم ينهار مثل كومة ويموت، القـردة تنطلـق في همهمات هي أقرب إلى العويل الحزين...)

الفهرس

شرق كارديف ٥

المنظر.. ١١

قمر الكاريبي ٣٧

المنظر.. ٤٣

القرد كثيف الشعر ٧٩

المشهد الأول.. ٨٣

المشهد الثاني ١٠٥

المشهد الثالث....................................... ١١٥

المشهد الرابع....................................... ١٢٣

المشهد الخامس ١٣٧

المشهد السادس ١٥١

المشهد السابع....................................... ١٦٣

المشهد الثامن....................................... ١٧٥